الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي: ...../.....

رقم تسجيل الطالب: 212135087323

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر تخصص: أدب حديث ومعاصر

شعبة الدراسات الأدبية

بعنوان

بين سرد البيئة وبيئة السرد

دراسة تحليلية حول تجليات الوعي البيئي في رواية أحلام البحر القديمة لشعاع خليفة– أنموذجا–

إعداد الطالبة:

- تجوري نجوى

أمام لجنة المناقشة المكونة من السادة الأساتذة:

اسم ولقب الأستاذ	الرتبة العلمية	المؤسسة الجامعية	الصفة
بن يحي عباس	**أستاذ التعليم العالي**	جامعة المسيلة	**رئيسا**
صياد مليكة	**أستاذة محاضر أ**	جامعة المسيلة	**مشرفا ومقررا**
حريزي أسماء	**أستاذة محاضر أ**	جامعة المسيلة	**مناقشا**

السنة الجامعية :2026/2025

شكر وعرفان

الحمد لله الذي بنوره اهتدينا، وبفضله بلغنا ما تمنينا والصلاة والسلام على من علم الأنسان معنى السمو واليقين.

ها أنا اليوم أقف على عتبة الحلم، وقد صار بعد الطول صبر حقيقة، وأقطف ثمرة سهر وتعب.

كان الأمل فيه نبض قلبي، والدعاء زادي في الطريق، فلا يسعني في هذا المقام إلا أخنى شكراً وامتنانا.

لكل يد امتدت إلي، ولكل كلمة رفعت من همتي حين تعبت.

إلى أستاذتي المشرفة «**صياد مليكة**» لكي مني خالص الشكر والتقدير والتقديم فكنتي النور الذي أضاء دربي والصوت الذي أرشدني.

أتقدم بأسمى عبارات الشكر والعرفان إلى الهيئة التدريسية بقسم اللغة والأدب العربي بجامعة محمد بوضياف بالمسيلة، أولئك الذين كانوا لنا أكثر من معلمين كانوا أرواحا تبعث الأمل، وعقولاً تزرع فينا نور المعرفة، فكانوا لنا الدليل حيث تعثر الطريق.

وأخص بالذكر الأساتذة الكرام، الأستاذ «**ناصر بركة**» رئيس القسم، الذي لم يدخر جهدا في سبيل في خدمتنا، وكان مثالاً في التفاني والإخلاص.

والدكتورة «**سعاد عريوة**» مسؤولة تخصص الأدب الحديث والمعاصر، التي وجهتنا بحكمة وأرشدتنا بخبرة، فكانت لنا نعم الدليل في مسيرتنا العلمية.

كما أتقدم بجزيل الشكر إلى الدكتور «**عبد العزيز العايب**» والدكتور «**مولود قاني**» على ما بذلوه من جهد في تنظيم ندوة علمية حول مذكرة التخرج، كانت لنا نورا لهتدي به وزادا نعتمد عليه في طريق البحث.

إليكم جميعًا أقول: ان كان للعلم فضل، فأنتم أهله. وإن كان للوفاء معنى، فأنتم عنوانه. فجزاكم الله عنا خير الجزاء. وجعل ما قدمتموه في ميزان وفي ميزان حسناتكم.

الإهداء

بسم الله الرحمن الرحيم «وقل رب زدنا علما»، اليوم أخطو خطوات حصادي بعد ما غرست ثمار جهدي طيلة السنوات الماضية، وها أنا أزف خبر تخرجي رسميا وبكل فخر.

أهدي تخرجي وسنوات تعبي أولاً لنفسي القوية العظيمة، إلى تلك التي صبرت وثابرت، وقاومت، وقاومت، فكنت لها، وحتى وأن ابت أتيت لها رغم الصعاب.

إلى من أحمل اسمه بكل فخر، إلى الرجل العظيم، العمود الفقري الذي ساندني بكل حب، في ضعفي كان قوتي، وفي تعبي كان سندي، أخرج أجمل ما في داخلي، وشجعني دائما لأصل إلى طموحاتي، إلى من أنتظر هذه اللحظة ليفتخر بي، قدوتي مسندي، والنور الذي ينير حياتي والدي العزيز أدامك الله ظلاً وسندا لنا.

إلى جنة الله على الأرض، إلى من تعجز الكلمات عن وصف فضلها، إلى النور في عتمتي، إلى من كان دعاؤها سر نجاحي وتوفيقي، المضحية من أجلي، معلمتي وسيدتي العظيمة أمي الحبيبة حفظك الله ورعاك.

وإلى أخي العزيز الذي لم يبخل علينا بالدعم والمساندة، وكان دائماً مصدر قوة وتشجيع لي. الله يحميك.

إلى روافد الوفاء وينابيع المحبة والحنان، إلى من هم أكبر وعليهم أعتمد أخواتي الغاليات أدامكم الله ورعاكم.

وإلى صغيرتي الغالية سلسبيل ابنة أختي، التي كانت تفرحني دائما وتهديني الأقلام لأواصل الكتابة والدراسة.

إلى رفقاء الدرب والمشوار والتعب والسهر وكل من ساندني وشجعني لأصل إلى طموحاتي الخاصة صديقتي الغالية «**سارة عكرمة**» لقد كنت دائما مصدرا فأنت النور الذي أضاء طريقي بفضلك كانت السنوات الدراسية أكثر إشراقا ومرحا. شكرا لكم جميعا.

وللحلم بقية.

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة محمد بوضياف – المسيلة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

التصريح الشرفي

الخاص بالتزام قواعد النزاهة العلمية لانجاز البحث

انا الممضي أسفله السيد(ة) : نجوى تجوري الصفة: ..طالبة.....

الحامل لبطاقة التعريف رقم: 211092141623 الصادرة عن : عين الخضراء

بتاريخ: 2024/12/03

المسجل بكلية الآداب واللغات قسم اللغة والأدب العربي والمكلف بإنجاز بحث

(مذكرة ماستر) عنوانه: بين سرد بيئة و بيئة السرد دراسة تحليلية جوانب تجليات الوعي البيئي في رواية "أحلام البرالقدية" لشعاع خليفة"

تحت إشراف الأستاذ(ة): صياد مليكة

أصـرح بشرفي أنني ألتزم بالمعايير العلمية والمنهجية والأخلاقية والنزاهة الأكاديمية

في إنجاز البحث المسجل أعلاه ، وأتحمل مسؤولية مخالفة ذلك.

نظر وصدق على إمضاء

التاريخ: ..... التوقيع :.....

السيد(ة): .....

عين الخضراء في: 10 ماي 2026

مصادقة البلدية

رئيس المجلس الشعبي البلدي
وبتفويض منه الموظف المفوض
إمضاء/ عائشة يحوي

ولاية المسيلة دائرة عين الخضراء

CS Scanned with CamScanner

مقدمة

مقدمة:

بسم الله الرحمان الرحيم، وبعد

يمثل التفاعل بين السرد والبيئة محورا رئيسيا لفهم كيفية تجديد النصوص الأدبية العربية، حيث يتيح هذا التفاعل إحداث تغيرات جذرية في البنية السردية، ويعكس تشابك التجربة الإنسانية مع التحديات البيئية والاجتماعية التي تواجهها المجتمعات.

وتبرز السرديات العربية المعاصرة كنموذج غني لدراسة تلك العلاقة إذ تقدم رؤية متعمقة للكيفية التي يتجلى بها الوعي البيئي ضمن فضاءات متعددة، من القصة إلى الرواية والمسرح، محاولة استكشاف دلالات البيئة كعنصر فاعل في تشكيل المعنى.

وتكمن أهمية هذا البحث الذي جاء تحت عنوان: بين سرد البيئة وبيئة السرد – دراسة تحليلية حول تجليات الوعي البيئي في رواية «أحلام البحر القديمة» لشعاع خليفة–.

وقد اخترت موضوع بحثي لما له من أهمية متزايدة في عصرنا الحالي، حيث يعكس وعي البيئة بعدا إنسانيا مهما، وقدرا من التفاعل النقدي مع قضايا الاستدامة والبيئة في الثقافة العربية المعاصرة.

كما يهدف إلى إثراء المكتبة النقدية بإضافة رؤية تحليلية تربط بين البيئة والسرد في النصوص العربية.

ينطلق البحث من إشكالية رئيسية تتمثل في: **«كيف يتجلى الوعي البيئي في السرديات العربية المعاصرة خاصة في «رواية أحلام البحر القديمة «لشعاع خليفة؟ وما الدور الذي تلعبه البيئة الطبيعية والمكانية (البحر، المناخ، الأرض، الميناء والمدينة)، في بناء البيئة السردية ودلالاتها في رواية أحلام البحر القديمة لشعاع خليفة؟**

كما يشتمل البحث على مجموعة من التساؤلات الفرعية مثل:

- كيف يساهم البحر كفضاء مركزي في تشكيل المعنى السردي؟

- كيف يعكس السرد وعيا بيئيا نقديا من خلال توظيف رموز بيئية؟
- كيف تساهم رمزية البحر والميناء في تشكيل وعي بيئي يعكس قضايا واقعية وإنسانية؟

وقد اعتمدت في بحثي على المنهج التحليلي، لكونه الأنسب في دراسة تجليات الوعي البيئي وتحليل البنية السردية في رواية «أحلام البحر القديمة» لشعاع خليفة، وللإحاطة بكل هذه الابعاد، قسمت الدراسة إلى مدخل وفصلين رئيسيين: يعرض المدخل مفهوم السرد والبيئة وعلاقتهما في الأدب العربي المعاصر.

ويركز الفصل الأول على البيئة في السرديات العربية المعاصرة وتتكون من ثلاثة عناوين: البيئة في القصة العربية المعاصرة، البيئة في الرواية العربية المعاصرة، البيئة في المسرح العربي المعاصر.

بينما يتناول الفصل الثاني في تمثلات الوعي البيئي في رواية «احلام البحر القديمة» لشعاع خليفة» ويقوم على أربعة عناصر: تمثلات البيئة الطبيعية، البحر كفضاء مركزي ودلالاته، المكان الساحلي القرية (الميناء)، رمزية البحر والمكان في تشكيل المعنى.

واستندت في بحثي إلى مصادر رئيسية من بينها مع دراسات نقدية تناولت النصوص السردية المعاصرة، مما يعزز من الإطار النظري والمنهجي للعمل اما التحديات التي واجهتها في البحث، فتتلخص في ندرة المصادر التي تتناول التداخل بين السرد والبيئة بشكل متخصص وصعوبة تحليل البعد البيئي في النصوص بسبب التداخل الواقع بين البيئة ومختلف السياقات الثقافية والاجتماعية.

وفي الختام، اتقدم بجزيل الشكر والامتنان والتقدير للسيدة الاستاذة المشرفة على ارشادها وتعزيزها المستمر على هذا البحث، راجين ان يكون يسهم هذا العمل في تطوير الدراسات النقدية المتعلقة بالسرد والبيئة في الأدب العربي المعاصر، وان يفتح افاقا جديدة لفهم التفاعل بين النص والبيئة ضمن الإطار الحضاري والثقافي الحديث.

مدخل

السرد والبيئة

تمهيد

يعد الربط بين السرد والبيئة أو ما يعرف بالإيكو سرد من أبرز مجالات البحث المعاصرة التي أخذت تتوسع مع ظهور ما يعرف بالسرد البيئي أو الايكوكرتييك، وهو فرع من فروع النقد الأدبي يهتم بدراسة تمثلات الطبيعية والعلاقة بين الانسان والمحيط البيئي عبر الوسائط الأدبية في الأعمال السردية سواء في الرواية أو القصة أو المسرح.

يظهر هذا التداخل كيف أن الأدب لا يعبر فقط عن التجربة الانسانية المجردة بل يتقاطع أيضا مع المكان والطبيعة والتغيرات المناخية وحتى الكوارث البيئية فالسرد ليس مجرد أداة لنقل الأحداث بل وسيلة لإعادة تشكيل فهمنا للعالم الذي نعيش فيه بما فيه من عناصر طبيعية وثقافية.

السرد بين اللغة والاصطلاح

لغة: قد جاء في لسان العرب لابن منظور [سرد] «السرد في اللغة تقدمة شيء إلى شيء، تأتى به متسقا بعضه في أثر بعض متتابعاً»[1]. فالسرد هو توالي الأشياء بعضها إثر بعض في حسن السبك وجمال النسج. سرد الحديث ونحوه يَسْرُدُه سَرْدًا إذا تابعه، وفلان يسرد الحديث سردا إذا كان جيد السياق له، وفي صفة كلامه صلى الله عليه وسلم لم يكن يسرد الحديث سردًا أي يتابعه ويستعجل فيه، وسرد القرآن، تابع قراءته في حدر منه والسرد المتتابع.

وسرد الشيء سردا وسرده وأسرده ثقبه، والسراد والمسرد: المثقب. والسرد اسم جامع للدروع وسائر الحلق وما أشبهها من عمل الحلق وسمى سردا لأنه يسرد فيثقب طرفا كل حلقة بالمسمار فذلك الحلق المسرد والمسرد: هو المثقب[2]. وقد أبرز القرآن الكريم هذا المعنى في

---

[1] ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين، لسان العرب، دار الحديث، القاهرة، 2003، دط، ج 4، مادة السرد، ص 552.

[2] ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين، لسان العرب، ص 553.

قوله تعالى ﴿أن أعمل سابغات وقدر في السرد﴾[1]، أي أن أعمل دروعا تامات واسعات وقدر المسامير في حلق الدروع فلا تعمل الحلقة صغيرة فتضعف فلا تقوى الدروع على الدفاع ولا تجعلها كبيرة فتنتقل على لابسها.

اصطلاحا: مثلما أن أغلب ألفاظ اللغة العربية المستعملة في معانيها الاصطلاحية تعود في أصلها إلى اشتقاقاتها اللغوية، فإن لفظ السرد بدوره قد انتقل من دلالته اللغوية إلى دلالة اصطلاحية من معناه اللغوي وانطلاقا ما سبق يمكن القول أن السرد هو تقدمة الشيء إلى شيء في الكلام والحديث على شكل متتابع لا خلل فيه كما يقول عبد الله إبراهيم «والسرد تقدمة شيء إلى شيء في الحديث بحيث يؤتى به متتابعا لا خلل فيه أي أنه نظم الكلام على نحو بارع تتلازم عناصره فلا تنافر يخرب اتساقها والسارد هو من يجيد صنعة الحديث ويكون ماهرا في نسجه»[2].

على حسب هذه المقولة أن السرد يتوقف على دعامة مهمة وعلى عنصر مقوم مشتملا على قصة أو أي نوع من أنواع الأدب وهذه الدعامة هي الكيفية التي يأتي بها الكلام وفي معنى ذلك يتدخل جون ساذرلاند قائلا «ليست القصة والسرد كلمتين مترادفين ببساطة شديدة توجه القصة انتباهنا إلى ما يقال، أما السرد فيوجه انتباهنا إلى الكيفية التي قيل بها، إلى البراعة الفنية وليس الموضوع»[3]، ولعل معنى ذلك أن السرد والقصة متغايران لكل منهما مميزات وتتأسس على الفرادة وأن السرد هو نوع من البراعة الفنية التي تحسن توظيف الأدب وتجملة وأن المسرود أي القصة مضمونها نوع من أنواع الأدب من غير اعتبار الجمال الفني وهذا السرد والمسرود كلما التحقا والتصقا يكون شيئا واحدا يتشكل هناك نوع أدبي فنى ويؤيد هذا التفصيل ما جاء في تعريف حميد لحميداني بإن السرد هو «الكيفية التي تروى بها القصة

---

[1] سورة سبأ الآية 11.

[2] عبد الله إبراهيم، موسوعة السرد العربي، قنديل للطباعة والنشر، الإمارات العربية المتحدة، 2016، ط1، ج1، ص 11.

[3] جون ساذرلاند، 50 فكره يجب أن تعرفها عن الأدب، ت: محمد طارق داود، داود، المكتبة المصرية، مصر، 2014، ط1، ص 28.

عن طريق قناة الراوي والمروي له وما تخضع له من مؤثرات بعضها متعلق بالراوي والمروي له والبعض الآخر متعلق بالقصة ذاتها»[1].

ونظرا لأن القصة الواحدة يمكن أن تروى بطرائق متعددة، فإن السرد لا يكون واحدا وثابتا بل يختلف باختلاف زاوية التقديم وأساليبه، ولهذا السبب يعد السرد فعل حكائي يقوم على عملية تنظيم وبناء.

البيئة بين اللغة والاصطلاح

لغة: البيئة عند ابن منظور مشتقة «من باء بوأ يقال وتبوأ فلان منزلاً، أي أنزله فيه وبوأ المنزل له بمعنى أعده وجهزه، وتبوأت بالمكان أي نزله وأقام به، ويقال وإنه لحسن البيئة أو إنه باء بيئية سوء»[2] وقد ورد ذكر البيئة في القرآن الكريم في مواضع عدة منها قوله تعالى ﴿والذين آمنوا وَعملُوا الصَّالِحَاتِ لنبوئُنهُم مِنَ الجنة غرفا﴾[3]، يقال بوأته منزلا، وأثوبته منزل ثواب، أنزلته بوأته منزلا أي جعلته ذا منزل، كما يعني التبوء أي الحلول أو النزول أو السكن، أو المحيط، أو الوسط الشامل.

اصطلاحا: يعني بها اصطلاحا، بوجه عام، الوسط أو المجال ذي أبعاد مختلفة: الذي يعيش فيه الانسان مؤثرا فيه متأثرا به، ويعنى بمصطلح البيئة لدى مجلس الدولة الفرنسي «مجموعة، في وقت معين، من العناصر الفيزيائية والكيميائية والبيولوجية، وكذا العوامل الاجتماعية التي يمكن أن يكون لها أثر مباشر أو غير مباشر آني أو على مدى معين على الكائنات الحية والأنشطة الإنساني»[4]، ونعني بمصطلح البيئة ذلك النطاق المادي الذي يعيش

---

[1] حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، مصر، ط1، ص 45.

[2] محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين، لسان العرب ، ص 544.

[3] سورة العنكبوت الآية 01.

[4] بودور محمد، مفهوم البيئة واهم أنواعها في التشريع الجزائري، مجلة السياسة العالمية، جامعة محمد بوقرة بومرداس، الجزائر، مجلد 6، العدد 2، 2022، ص 541.

فيه الإنسان والكائنات الأخرى وما يشتمله ذلك النطاق من عناصر طبيعية وأخرى اصطناعية احدثها النشاط الإنساني كما تعنى بها المحيط الذي يعيش فيه الانسان بما يشمله من ماء وهواء وتربة وكائنات ومنشآت أقامها الإنسان لإشباع حاجاته.

من خلال مما سبق ذكره حول مفهوم السرد والبيئة يمكننا أن نستخلص أن السرد البيئي هو «أسلوب سردي يركز على العلاقة بين الانسان والعالم الطبيعي، وغالبا ما يسلط الضوء على القضايا البيئية والمواضيع الإيكولوجية»[1]

يتخذ هذا النوع من السرد أشكالاً متنوعة، تشمل القصص الخيالية والواقعية والشعر وحتى المقالات، ويسعى إلى رفع مستوى الوعي بالمخاوف البيئية مع تعزيز ارتباط أعمق بالطبيعة. بعد تحديد مفهوم البيئي التنوعي لحركة التمثيل الغذائي داخل النصوص السردية، القول انه التجاوز مجرد وصف الفضاء الطبيعي ليبحث في الكيفية التي تنظم بها البيئة إلى عنصر مؤثر في تشكيل المعنى فالنص السردي لا يعكس النماذج انعكاسا عالميا، بل جزء من البنية الدلالية التي تشارك في توجيه الأحداث والإيواء ورؤية الكاتب للعلاقة بين الإنسان والبيئة.

[1] جامعة هامبورغ، د.ت، النقد البيئي والسرد، الدليل الحي للسرد: Http://www.ihn.uni.Hambourg.de

مدخل

البيئة في السرديات العربية المعاصرة

1. البيئة في القصة العربية المعاصرة

1.1. توظيف قضايا البيئة في القصة القصيرة القطرية

إن ظهور فن القصة القصيرة في دولة قطر يدل على تطور التجربة الثقافية والفكرية تطورا ملحوظاً «والبداية للقصة القصيرة في قطر كانت بداية قوية فقد عبرت عن كل ما عبرت عنه القصة الخليجية من مضامين، ولكن على الرغم من ذلك فإن القصة القطرية ما زالت تنحصر ضمن إطار فني محدد، ولم تتطور من الناحية التقنية من حيث توظيف أسلوب المسرح والسينما كما هو الحال في دولة الكويت ومملكة البحرين»[1] إلا أنه في سنوات التسعينات مع الكتاب الجدد على رأسهم القاص جمال فايزة ونورة آل سعد وغيرهما عرفت طريقها نحو التجريب القصصي.

ومن هذه الطرائق التجريبية القصصية تشكل للكاتب القطري وعي كبير بالبيئة وقضاياه وهذا بحكم طبيعة المكان الذي جمع بين البيئة الصحراوية من جهة، والبيئة البحرية الساحلية من جهة أخرى، فقد وجدنا العديد من كتاب القصة في قطر يحملون وعيا بقضايا البيئة وكيفية حمايتها واقعاً وسردا، واتضح ذلك الوعي من خلال كتاباتهم في القصص سواء على مستوى العنوان أو على مستوى القضايا المعالجة، وسنعرض فيما يلي بعض النماذج من القصة القطرية التي اتضح فيها وعي الكاتب القطري بالبيئة عامة والبيئة على وجه الخصوص، مثلا:

1.1.1. البحر وعبد الله – ناصر عبد الله المالكي

تركز هذه «القصة على علاقة الانسان بالبحر وتتضمن تلك العلاقة علاقة أهل القرية بالبحر قديما بشكل عام، وعلاقة عبد الله نفسه بالبحر بشكل خاص، فشكل البحر المصدر الرئيسي لرزقهم. فتحلل القصة علاقة عبد الله بالبحر وكيف بدأت قصة حبه للبحر منذ طفولته من خلال قصص أمه عنه واصبحت العلاقة قوية لدرجة أن البحر كان ملجأه عندما يشعر بالحزن، فكان يتحدث معه ويعاتبه ويشكو إليه، وعمل عبد الله في البحر ويبدأ بتقديم العديد من التساؤلات التي لم يجد لها جواباً للبحر ومنها: أحاديث والدته حول حقيقة غضب البحر

[1] ماهر فهمي، ملامح القصة القصيرة في الأدب القطري، حولية كلية الانسانيات والعلوم الاجتماعية، جامعة قطر، المجلد 06، العدد 06، 1983، ص 20-22.

وغيرها الكثير من الأسئلة»[1]. وهذا يوضح مدى تعلق أهل قطر بالبحر الذي يعدونه مسكنهم وسكينتهم، وهنا تظهر العلاقة الكبيرة بين الطبيعة حيث تتلاشى المركزيات بين الانسان والبيئة فكل واحد يكمل الآخر.

2.1.1. شجرة التوت – سهيلة آل سعد

تصف القصة طفولة الشخصية الرئيسية من خلال «التركيز على المكان مع تسليط الضوء على مكون من مكوناته وهو الجانب النباتي «الأشجار» والتي أدت إلى نشوء علاقة وطيدة بين الشخصية والمكان، فتصف الشخصية مسترجعة الأحداث من الزمن الماضي ثلاثة أنواع من الأشجار «السدرة»، «شجرة التين» و»شجرة التوت»، ووضعت علاقتها وعلاقة اخوتها بتلك الأشجار في منزلهم ومدى تعلقهم بها، وكان يقرب الأشجار موقف خاص بسيارة والدهم، وحاول أطفال الحي بواسطة السقيفة الخشبية الخاصة بالموقف الحصول على ثمار شجرة التوت ولكن سقطت السقيفة وغضب الأب، وبعد ذهاب الساردة للمدرسة كانت تشعر بأن ذهابها حرمها متعتها بهذا المكان فكانت تحسد اخوتها على بقائهم في المنزل، وانتهت تلك العلاقة الجميلة بعد مرور الزمن وتقدم عمر الشخصية الرئيسية «الساردة»[2].

في سياق تمثلات البيئة الطبيعية في القصة القصيرة: تصف القصة طفولة الشخصية الرئيسية من خلال التركيز على المكان مع تسليط الضوء على مكون وهو النباتي وعلى رأسها شجرة التوت والتي أدت ظهور صلة متينة بين الشخصية ومكانها الطبيعي، وتلاشت هذه العلاقة الجوهرية مع مرور الزمن بما يعكس التحولات النفسية والاجتماعية للشخصية الرئيسية (الساردة).

ويمكن التأكيد من خلال هذا التحليل على أن الكاتبة لم تقتصر بوصف المكان فحسب بل وظفته كأداة سردية محورية لتشكيل العلاقة المركزية من الشخصية وبيئتها، حيث تتجسد الأشجار كعنصر رمزي يمثل الذاكرة والهوية، كما يظهر تحول البيئة عبر قطع الأشجار مما

[1] صبري حافظ، القصة القصيرة في قطر، ببليوجرافيا شاملة ودليل وصفي تحليلي، وزارة الثقافة والرياضة، قطر، 2016، ص 529.

[2] صبري حافظ، القصة القصيرة في قطر، ص 599.

يشير إلى التحولات الدلالية والنفسية للشخصية ويبرز الدور الرمزي للفضاء الطبيعي في البنية الدلالية القصة.

2. البيئة في الرواية العربية المعاصرة

1.2. رواية مملكة الزيوان أنموذجا

«رواية مملكة الزيوان لم تقطع صلتها بالواقع، هناك روابط بين العالمين الروائي والواقعي، فهي تحفر في الذاكرة التاريخية، وتسترجع رحلة الانسان في الصحراء الجزائرية بروافده الثقافية والتاريخية والاجتماعية والسياسية وتنقل البيئة بتفاصيلها الدقيقة، ترسم البيئة الصحراوية وما لحقها من تغيرات طبيعية وتحدد مواقف إيديولوجية منها فإذا كانت التقسيمات الحديثة للرواية العربية ترى بأن الرواية العربية شابها تقسيم كلاسيكي يتمثل في أنواع من الرواية منها رواية المدينة ورواية الريف ورواية العرب ورواية السجن ورواية الوحدة ورواية البحر والطبقة البورجوازية ورواية القضية الفلسطينية ورواية البطل الثوري، ورواية السيرة الذاتية وغيرها من الروايات»[1] فإن رواية مملكة الزيوان فيها بعض من هذه التقييمات وتكاد البيئة تهمين على تفاصيل الرواية. بقيت رواية مملكة الزيوان وجود البيئة كعنصر فاعل في السرد حيث تحول الفضاء الصخري من مجرد خلفية مكانية إلى قوة مؤثرة في تجميع الأحداث وسلوكهم بما تحمل عناصر تم إنشاؤها بعد ذلك بشكل رمزي للتحولات الاجتماعية، ما أدى إلى تشكيل نموذج نموذجي السرد البيئي الجزائري المعاصر.

2.2. تجليات البيئة في الرواية

يقال بأن من أبلغ وظائف البداية «هي بدون شك وظيفة التجنيس الأدبي إذا تعلن الرواية القائمة على الشفافية – منذ بدايتها – انتسابها إلى تصور جمالي أدبي ما، رومانسي، تاريخي، واقعي، وقس على ذلك الأنماط الأخرى من الروايات السيكولوجية أو الرواية الجديدة القائمة على أساس الكثافة»[2] وانطلاقا من الإهداء، فالرواية تعلن عن نفسها بأنها بنت البيئة

[1] خثير عيسى، النقد البيئي وأبعاده الثقافية، رواية مملكة الزيوان للروائي الصديق حاج أحمد أنموذجا، مجلة جسور المعرفة، جامعة بلحاج بوشعيب، تموشنت، الجزائر، المجلد (8)، العدد (3)، 2022، ص 317

[2] عبد الملك أشهبون، البداية والنهاية في رواية، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2013، ص 36

ومن معابر البيئة ستكون روافدها وملامحها وشخوصها وأحداثها ففي الإهداء الذي يلامس الجغرافيا يعلن الزيواني على أنها منطلق السرد «إلى كل الذين ظلمتهم الجغرافيا بتضاريسها العبثية المقرفة، لكنهم آمنوا بنبوة الرمل».

ويقابل هذه التضاريس التي فيها مع العبث والضيق وجغرافيا قاسية يعيش فيها الإنسان في ضنك وقهر وشظف وظلم، مع رحابة التوافق مع هذه البيئة والإيمان بمعجزة الصحراء وتحديها وتنبئها، وإهداء الرواية التضاريسي الجغرافي البيئي يعطف عليه قطف من نفس البيئة ولكنه على نقيضه، «كم لك في حضرتك، وزيوانك نفع يا عرجون، معظم الأشياء لها في حضرتها حظوة وسلوان، ولها في يبسها نكر وهجران، إلا أنت يا عرجون، وزيوانك وأمكما النخلة....»[1]. وكأن بداية الرواية عند السارد هي وقفة طلليه ترثي المكان وتستدعيه في مهابة وتحسر، والمعتقدات التقليدية والمظاهر التقليدية والبيئة التقليدية وتنوعها هي التي جعلت النص الروائي ممكنا مع فسحة ثقافية لا تنفك عن البيئة ولا مجال لانشطارها وتمزقها فهي في تماسك متين «وتكن المجتمعات الشعبية للنخلة الكثير من الاحترام والتقديس ويتم التعامل مع جريد النحلة بوصفه رمز للخير والنماء والبركة، وخاصة الأخضر منه، بل إن كل عنصر من عناصر النخلة لا يخلو من النفع، فمن طلعها يأكل الانسان، ومن مخالفاتها «الجريد والخوص والليف» تصنع الأدوات المنزلية المختلفة، ومن تجتث النخلة يستفاد من جذعها الجاف في تسقيف البيوت و اقامتها كأعمدة»[2]. وكأن السارد في الرواية ينبئ على أن مهما قست البيئة الصحراوية فإن النخلة حاضرة بعطاءها المتعدد ولأن النخلة والانسان قواسم مشتركة وتزخر رواية ملكة الزيوان بتنوع بيئي يحاكي مسار أحداث الرواية بطبيعة متميزة و متنوعة وناعمة مع الانسان، وكثافة التصوير البيئي لا يحمل رموزا أدبية ولا يعد من التوظيف الرمزي في الرواية، وإنما البيئة تشكل حدثا وأحداثا من مكونات الرواية، فهي تتجلى في الاستعمال من

[1] الصديق حاج أحمد، رواية الزيوان، دار فضاءات، عمان، الأردن، ط1، 2015، ص 05.

[2] خالد محمد محمد متولي، النخلة في التراث الشعبي، بحوث ودراسات في الثقافة الشعبية، القاهرة، مصر، د. ط، 2016، ص 157

الزينة إلى المطبخ إلى الاستقرار العائلي إلى تضاريس الحياة البرية والحيوانية، فنجد الطبيعة النباتية الصحراوية «تركة أبي من البساتين والصباح»

أ- بيئة الفقارة

«الفقارة معلمة بيئية تاريخية في الصحراء الجزائرية وخاصة في منطقة التوات، وفي الرواية اشارات واضحة لهذه المعلمة ذكره لنا بأنه بالرغم من اختلاف الزمان والمكان، إلا أن الأهداف والأضرار تكون واحدة، بل وأكثر عندنا»[1]، فالتجارب النووية للاستعمار الفرنسي في منطقة «رقان» بالجنوب الجزائري حضور ماضي الرواية يدل على عمق المأساة و تناولها من لدن معلم التاريخ العراقي كما يقول السارد، يكشف عن حجم الخطر الذي هدد وما زال يهدد البيئة، فهناك تفاعل بين السارد والبيئة، إذا يمكن أن يكون التفاعل سلبيا بتدمير الطبيعة وتلويثها وتحطيمها بإحراق الغابات، واجتثاث الأشجار والصيد المفرط، والرعي الجائر، والإسراف في استغلال الطبيعة وانهاكها»[2]، فالرواية تقدم تربية بيئية، وتستمد من التاريخ وما تركه الاستعمار الفرنسي من مخلفات سلبية نتيجة التجارب النووية، فالمربي أو المدرس حسب السارد في الرواية يستوعب مسائل البيئة ومشاكلها، ويذكر بالمسائل البيئية الإقليمية ويحدد مسؤولية الفرد اتجاهها.

ب- البيئة وصناعة الحياة في الرواية

يحتاج الأفراد إلى تربية بيئية، ليحافظ الأفراد على محيطهم، وما يحتويه من مظاهر العش، فالوعي بما تمتلكه البيئة من روح، فسلامة الهواء والماء والغذاء والتربة والنبات يرافق الإنسان، والحس البيئي نستشعره في الرواية لأنها ملهم للحياة ومنها الحياة، فيلجأ إليها الأفراد للتحصين، من شرور الحياة وأضرار الزمان، وفي سياق البيئة المرافقة للإنسان يصور الروائي في مملكة الزيوان مقطعا سرديا عن البيئة وعلاقتها بسلامة الإنسان في طقوس شعبية مميزة إذ يشير إلى أنه «قد طوت العصر شهور بعد هذا، حتى زارنا الوباء في آخر هذا العام، فلا

[1] خثير عيسى، النقد البيئي وأبعاده الثقافية، رواية مملكة الزيوان للروائي الصديق حاج أحمد أنموذجا، ص 322

[2] جميل الحمداوي، حسن أعراب، النقد البيئي أو الايكولوجي في الأدب والفن، دار الريف، الناطور، تطوان، المغرب، ط1، 2020، ص 10.

شاة ضر ضرعها ولا المحصول البكوري كالطماطم الوافدة، ولا القمح قد وفيا بالمرغوب بأهل العصر كما انتشرت بين البيئية التاريخية بالمنطقة وإن كنا نتجاوز الجانب التاريخي والتأسيس الفقارة»[1].

فإن الحديث عنها كمظهر بيئي يشكل مظهرا بيئيا في رواية مملكة الزيوان، نرى بأنها تعد جزءا من حياة الزيوان في المملكة وأسمه في الفقاقير، «والفقاقير تقنية عجيبة من تقنيات السقي والري التقليدية القديمة، تستنبط بها المياه الجوفية إلى سطح الأرض عبر قناة جوفية تحت ارضية تشارك في أبار متصلة مبدؤها محل عال ثم ينحدر تدريجيا نحو الحوض الذي تتجمع فيه مياه الفقارة تسقى بها الأجنة والبساتين بطريقة أعجب من ذلك»[2] والفقارة هي منتوج جماعي تعبر عن فكرة اشتراكية لتقاسم المياه بالعدل، ومنها تتشكل طبيعة البيئة الزيوانية البشرية والمعيشية والثقافية والحيوانية والنباتية فكلما تعرف الانسان على الطبيعة واكتشف أسرارها كلما زادت سيطرته على قواها ليخضعها ويحولها من مجرد أشياء طبيعية إلى منتجات ثقافية يستفيد منها و يسخرها لمآربه.

ج- التربية البيئية في الرواية

في الرواية صرخة واضحة عن مخلفات الاستعمار في تدمير البيئة، أو انها إشارة إلى آثار النفايات السامة على منطقة ما من الجزائر، وعلى تحويل الصحراء البريئة النقية الطاهرة إلى مرتع للنفايات، فالوعي بالخطر والشكوى من إفرازات تلك التجارب النووية للاستعمار الفرنسي، فمهما كان التفاعل بين الإنسان والبيئة فقد يكون هذا التفاعل سلبياً، لما فيه من التدمير والتخريب «فكم كان يحدثنا عن تلك القنبلة الذرية الفتاكة، التي أصابت هيروشيما باليابان. ويقارنها بتلك التي جرت بملكة زيوانا في حمودا الرقان، وما صبيانه في هذا العام»[3]، ومعيشة الفرد في البيئة الصحراوية تتوقف على معرفته بنباتها وحشائشها وحيواناتها والتي

---

[1] عزب خالد، القصر مدينة في طي النسيان، مجلة العربي، مجلة شهرية ثقافية تصدر عن وزارة الإعلام بدولة الكويت، 1433هـ/2012م، د.ط، العدد 643، المجلد 643، ص 45.

[2] عبد الله الحمادي الإدريسي، الفوات من تاريخ التوات وصحاري الجهات، دار كوكب العلوم، الجزائر، ط 1، 1440هـ/2019م، ص52.

[3] خثير عيسى، النقد البيئي وأبعاده الثقافية، رواية مملكة الزيوان للروائي الصديق حاج أحمد أنموذجا، ص 322

بعضها يهدد حياته وبعضها يتشكل منها غذاؤه ودوائه، وغذاء حيواناته ودواؤها. ناهيك عن الاستعمالات المختلفة لجلود الحيوانات البرية وعظامها التي يصنع منها أدواته من السيور والأوعية الجلدية وأخشاب الأشجار التي يحصل منها على وقوده.

3.2. تمثلات البيئة في المكونات السردية للقصة القطرية

أ- العنوان والعتبات البيئية

ولما كانت الشعريات عند جرار جينيت موضوعها العتبات الباحثة عن شعرية العناصر المناصية انسحب هذا على الاشتغالات البيئية للمداخل النصية، فوجدنا من الدارسين من يشتغل على الشعرية البيئية التي من بين ما تدرسه العتبات الخضراء التي يحاول من خلالها الكاتب اظهار وعيه البيئي من عتبات نصوصه السردية.[1]

وأهم عتبة خضراء في شعرية العتبات البيئية نجد العنوان، فقد عرف العنوان بأنه أولى العتبات النصية التي يوليها الكاتب اهتماما بالغا لما تحقق له من وظيفة جمالية من جهة ووظيفة إشهارية وتجارية من جهة أخرى، لهذا أصبح للعنوان علماً قائما بذاته بعد ما أسس له جينيت في عتباته، لهذا حاولت العديد من الدراسات البلاغية واللسانية والسيمائية والتداولية تقديم تعريف لهذه الكلمة أو الجملة النصية المختصرة التي تطرح سؤال نصها السردي في أوله[2]، لكونه حلقة أساسية من حلقات بناء الاستراتيجية النصية، على الرغم من الإشكالات التي يطرحها أثناء التحليل والتحديد وضبط الوظائف لأنه منجم من الأسئلة بتعبير جينيت، وهذا ما ذهب إليه لوي هويك مؤسس علم العنونة لما رأى فيه أنه مجموعة العلامات اللسانية من كلمات و جمل وحتى نصوص، قد تظهر على رأس النص لتدل عليه تعتنيه وتشير لمحتواه الكلي ولتجذب جمهوره فهو علامة للنص السردي كونه عنصر من مجموع العناصر المكونة للنص السردي، فهذا التحديد قد جمع فيه هويك كل المستويات العلمية للعنوان سواء كانت لسانية، أو تركيبية، أو تداولية، ويمكن أن نجد لها مدخلا بيئيا حتى وإذا اوسعنا فيها النظر.

---

[1] بشاير فارش الشمري، عبد الحق بالعابد، تمثلات البيئة في القصة القطرية، مجلة الذاكرة، قسم اللغة العربية كلية الآداب والعلوم، جامعة قطر، المجلد 112، العدد 02، 2024، ص 60.

[2] جمال بوطيب، العنوان في الرواية المغربية (حداثة النص حداثة محيطه)، ضمن كتاب الرواية المغربية وأسئلة الحداثة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط1، الدار البيضاء 1996، ص 193.

وأدوات الزينة من طبيعة المكان، دهن البطة، الكحل، الحناء، كتان الدمشي وأدوات بيئية للتعلم والمعرفة الدواة الزجاجية، السمغ المسود وللمطبخ وأدوات المستعملة للطهي «حطب الجريد»، وقد شكلت النار اكتشافا مميزا لدى ساكنة الزيوان وبرعوا في استخدام أدوات من الطبيعية لإيقاد النار وإشعالها، لقد تحولت مملكة الزيوان إلى متحف يتحرك في أناة نحو التمكين لنفسه من أساليب الحياة، فهو مجتمع يخدم نفسه بنفسه، يتخذ من الطبيعة مجالا للعيش والتمتع، فالبيئة في مملكة الزيوان نبض من نبضات الحياة[1]، والمرأة في الرواية لها حضور قوى وهي التي تمثل التعالق مع البيئة وتروضها حتى أصبحت جزء من البيئة. هل الأنثى بمثابة الطبيعة من الانسان؟ حيث تسعى إلى أن نشرح في ضوء الأنثروبولوجيا البنيوية، حضور الفكرة الشائعة في ثقافات مختلفة والقائلة بأن النساء تابعات للرجال، وتفسير ذلك عندها الاعتقاد الشائع بأن المرأة أقرب إلى الطبيعة من الرجل (فالمعادلات الشائعة هي: الذكر– ثقافة، الانثى – طبيعة / الذكر– عقل، الأنثى – وجدان / الذكر– عقل، الأنثى – جسد)، وعسف الرجل بالمرأة لعسف الانسان بالطبيعة[2]، فرواية ملكة الزيوان تمثل وعيا إنسانيا بالبيئة وفيها موقف من البيئة وحوار جلي بين الانسان والبيئة، وتمسك المرأة بالبيئة أكثر من الرجل في مملكة الزيوان يمثل كل هذا الوعي الإنساني بالبيئة في صناعة الوجود.

لهذا تميز العنوان الأخضر البيئي بحضور المفردات البيئية. ويمكن أن نمثل لذلك بعنوان رواية «البحريات» للكاتبة أميمة الخميس، فهنا يحضر أحد أهم عناصر الطبيعة في العنوان والذي يتميز بجماله الخاص كجمال أمواجه، رماله، وأهله ويومياتهم وثقافتهم، أما بالنسبة إلى صورة الغلاف فعادة ما تشير إلى عناصر بيئية عديدة[3]، وهذه العناصر تحمل دلالات معينة مثل ما جاء في صورة غلاف الرواية نفسها، فعلى الغلاف صورة لامرأتين كل واحدة منها مغمضة العينين وترتدي ملابس مزخرفة بخطوط وأشكال هندسية ويحيط بها قواقع حلزون متعددة وخيوط عنكبوتية ذات لون أبيض تشكل بعض الأشكال الهندسية المعينة، وكل

[1] خثير عيسى، النقد البيئي وأبعاده الثقافية، رواية مملكة الزيوان للروائي الصديق حاج أحمد أنموذجا، مرجع سابق، ص 318

[2] خثير عيسى، النقد البيئي وأبعاده الثقافية، ص 319

[3] بشاير فارش الشمري، عبد الحق بالعابد، تمثيلات البيئة في القصة القطرية، ص 60.

ما سبق جاء على خلفية سوداء، وكتب اسم الكاتبة والعنوان والمؤشر الأجناسي باللون الأبيض، وهنا لا تعنينا دلالات الألوان ولا حالة المرأتين بل ما يعنينا هو العناصر البيئية الموجود على الغلاف وما هي دلالاتها. فقواقع الحلزونات استخدمت قديما كرمز لجسد الإنسان الذي يحيط بروحه من الخارج والروح التي داخل الجسد تتمثل بالرخوية والجسد يموت عند ما تفارقه الروح كذلك القوقعة تتوقف حركتها عندما يفارقها الحيوان الذي بداخلها، أما بالنسبة إلى خيوط العنكبوت فهي تدل على الوهن كما جاء في القرآن الكريم في سورة العنكبوت[1] وأيضا تحمل دلالة أخرى وهي الدقة والإحكام في الصنع، وهما في غلاف الرواية يشيران إلى ما ستعانيه المرأتين من مخاطر مجهولة وسجنهما خلف قضبان ظاهرة القوة وحقيقته الضعف والوهن.

الشخصية القصصية والبيئة: نجد أن الشخصية واقعية وتخيلية علاقة وطيدة بالبيئة فهي الموئل والمآل، والمكان الذي نشأت فيه.

وفتحت عليه أعينها، لهذا «تعرف الشخصية في علاقتها بالطبيعة بمدى وعيها بقضايا بيئتها، والرهانات التي تحملها لرعايتها وحمايتها من تهديدات الإنسان الذي لا يعرف حقوقها ويحاول هدرها».[2]

فلهذا يمكن تعريف الشخصية السردية من منظور بيئي، بأنها ذلك الكائن التخيلي الذي يعمل وعيا بيئيا بمقدرات الطبيعية، ويلعب دور الحامي والحارس لأنهارها وأشجارها وكافة مقدراتها. داخل المجتمع السردي محققا العدالة البيئية أمام مركزية الإنسان وسلطته، وبهذا تكون الشخصية البيئية السردية تمثيل للشخص الواقعي الذي يبحث عن حلول لقضايا البيئة بل وضع أخلاق بيئية في هذا العالم الذي لم يجد حلولاً لها للتغيرات المناخية، ولا توصل للتقليل من الانبعاثات الكربونية الملوثة التي تسارع بنهايته.

---

[1] سورة العنكبوت الآية 41.

[2] بشاير فارش الشمري، عبد الحق بالعابد، تمثيلات البيئة في القصة القطرية، ص 63.

ب- العتبة الخضراء في قصة (أنا الياسمينة البيضاء)

«تحليل دلالة صورة غلاف المجموعة على عنوانها محققة الوظيفة الشارحة له»[1]، فقد جاءت صورة الغلاف باللون الوردي وكتب عنوانه الرئيسي «أنا الياسمينة البيضاء» باللون الأبيض بخط عريض مائل إلى الأعلى ويدل اللون الأبيض لون صفاء الطبيعة ونقائها هنا على لون زهرة الياسمين المتميزة تكونها بلونها الأبيض والتي يشير إليها عنوان الكتاب وكتب تحته قصص قصيرة باللون الأسود وبخط أصغر مائل إلى الأسفل وأسفل الغلاف دلال خليفة باللون الأسود أيضا، وفي زاوية الغلاف من جهة اليمين بجانب اسم الكاتبة سورة الزهرة لتحاكي بها الواقع تارة وتجعلها علما تهرب إليه. إذا تعد زهرة الياسمين من أشهر النباتات الموجودة حولنا فارتبط العنوان الرئيسي وصورة الياسمينة البيضاء ارتباطا وثيقا بالبيئة.

ج- الشخصية البيئية في (أنا الياسمينة البيضاء)

نجد أن للشخصية واقعية وتخيلية علاقة وطيدة بالبيئة، فهي الموئل والمآل والمكان الذي نشأت فيه، وفتحت عليه أعينها «وبعد تحديدنا للشخصية البيئية من حيث دور مكتوب داخل النص السردي، وكائن ورقي يحمل وعيا بيئيا يحاول من خلاله عرض قضايا الطبيعية وما يهددها من مخاطر محاولاً وجود حلول لها يمكن أن يشاركها مع القارئ الواقعي»[2]، لهذا وجدنا البنية المهيمنة في القصة القصيرة «أنا الياسمينة البيضاء» هي بنية الشخصية ذات البعد البيئي.

فركزت الكاتبة من خلال القصة على مجموعة من القيم البيئية أولها هي القيمة الجمالية للمنظومة الطبيعية «هذه الأوراق البيضاء وهذا العود الرقيق وهذا الشذا لا تكفي مجتمعة لإقناع أولئك القضاة الحمقى بأنها ياسمينة...»[3]

---

[1] بشاير فارش الشمري، عبد الحق بالعابد، تمثيلات البيئة في القصة القطرية، ص 62.

[2] عبد الحق بلعابد، الرواية البيئة في السرد القطري (مقاربة في النقد البيئي لرواية دنيانا مهرجان... الأيام والليالي دلال خليفة)، مجلة أنساق، المجلد 07، العدد 01، 2023، ص 25.

[3] دلال خليفة، أنا الياسمينة البيضاء، قصص قصيرة، دار الكتب القطرية، قطر، 2013، ص 3.

في اقتباس آخر تبرز الكاتبة قيمة بيئية أخرى مهمة وهي نبذ ثقافة الاستعلاء والعنصرية تجاه البيئة «الياسمينة مخلوق هش كل المخلوقات الكبيرة تستطيع قطفها وتمزيقها»[1]، فهنا تظهر الكاتبة مدى قسوة بعض البشر وتسلطهم على الكائنات البيئية الضعيفة وتدميرها كما انها تؤكد أن هذه التصرفات السيئة تجاه تلك المخلوقات لن يؤثر على قيمتها الحقيقية مهما تعرضت للأذى.

3. البيئة في المسرح العربي المعاصر

3.1. المسرح القطري:

ان ارتباط الأديب والفنان المسرحي القطري بالبحر نابع من تلك العلاقة التي امتدت عبر الحقب الزمنية من فترات الشدة وصعوبة الحياة «فقد عاش الأنسان القطري بصراع مع البحر الذي تعلم منه الكثير واستمتع بنسماته العليلة، غاص في لجته ليظفر بأعلى اللآلئ، ويكس قوة حياته ويحصل على السمك غذاءً لهذه الأسباب كان البحر كنزا له»[2]، لذا فان حكايات البحر، وصراع الإنسان معه، ومغامراته تعد مادة للفنان المسرحي، وربما ساعد في ذلك ما يتمتع به المجتمع القطري من تأثيرات تراثية، وعادات وتقاليد موروثة من الحكايات والأشعار والقصص عن البحر والصحراء حاضرة في منظومته الفكرية والفلسفية، والأمثال التي لا تزال تروئ وتجسد في أعمال رواده، كما أن المدة الزمنية التي تبعدنا عن ذلك الزمن لا تتجاوز الخمسين عاما عاشتها أجيال لا نزال بين ظهر أنينا، تعتز بهذا التراث وتسعى إلى توظيفه في كل اتجاهاتها الفنية والأدبية.

الحقيقة إن الحكايات في هذا النوع من المسرح «تعد تشكيلا لرؤية ثقافية شعبية منتشرة في بقعة جغرافية معينة وهي في المحصلة النهائية نتيجة تمخرجات إنسانية عالمية شمولية،

[1] دلال خليفة، أنا الياسمينة البيضاء، ص 08.

[2] د. جاسم حسن الغيث، تجليات رموز تراث الخليج في المسرح القطري المعاصر (دراسة في مسرحية مساء الموت)، مجلة أنساق، كلية كلية الآداب والعلوم جامعة قطر، المجلد 2، العدد 2، يونيو 2018، ص 39.

ففيها نقرأ الخوف من المجهول، والخيانة والغدر والمحبة والتضحية، ومعاقبة الشرير ونصرة المظلوم إلى ما هنالك من انعكاسات قيمية ومضمونيه تحملها الحكايات وتميل إليها»[1].

ويمكن تفسير ذلك بانشغال المسرح العربي بقضايا سياسية واجتماعية وهوياتية اعتبرت أكثر الحاحا في السياق التاريخي العربي مما يحافظ على البيئة لفترة في أحسن الأحوال كرمز خلفية او فضاء دلالي لا كموضوع مركزي مستقل للمعالجة الدرامية كامل. يمكن القول إن وجود نشأة البيئة في العصر العربي المعاصر ظل وجوداً عابراً أو ضمنيا، ولم يرتق إلى مستوى التكوين النظري والجمال الذي عرفه بعض التكامل الغربي خاصة مع بروز ما يقع بالمسرح البيئي في تنظيرات أمثال ريتشارد شيشنر حيث ارتبطت البيئة التايلاندية ارتباطاً مباشرا من حيث الفضاء والرؤية المبتكرة.

[1] رامي ابو شهاب، بنية الحكاية الشعبية القطرية، النموذج والاستقبال، كتاب المأثورات الشعبية، قطر، وزارة الثقافة والفنون والتراث، ط1، 2015، ص61.

الفصل الأول

تمثُّلات الوعي البيئي في رواية "أحلام البحر القديمة " لـ شعاع خليفة

تمهيد

يعبّر الوعي البيئي في الرواية الأدبية عن إدراك الإنسان لأهمّية البيئة وتأثيره عليها، ويتجلى ذلك من خلال تصوير العلاقة بين الإنسان والطبيعة في سياقات مختلفة، مما يعكس فهمًا عميقًا للقضايا البيئية وتأثيرها على حياة الأفراد والمجتمعات.

وقد مرت «علاقة الإنسان بالبيئة بمراحل تاريخية تطورية نتج عنها تدرج سلبي في حالة الوضع البيئي فكلما تقدم التاريخ البشري للأمام، إلا وتوسعت دائرة استغلال عناصر البيئة مما أدى إلى تدهورها وذلك لكونها المجال الذي يمارس فيه الإنسان حياته ونشاطه، ولكونه جزءاً من هذه البيئة، ويشكل حلقة من حلقاتها المترابطة»[1]. السبب في ذلك يعود إلى أن الإنسان، ككائن يعيش ضمن منظومة بيئية متكاملة، يحتاج إلى الموارد الطبيعية للبقاء، كالماء، والغذاء، والمأوى، والطاقة. مع تقدم الحضارات وتطور التقنيات، ازدادت قدرات الإنسان على استغلال البيئة بطرق أسرع وأكثر كثافة، مما أدى إلى مضاعفة الضغط على الموارد الطبيعية، وظهور مشكلات مثل التلوث، وإزالة الغابات، واستنزاف التربة والمياه. هذا التوسع لم يكن مصاحبًا دائمًا للفهم الواعي بكيفية الحفاظ على البيئة، فجاء الاستغلال في كثير من الأحيان بدون اعتبارات استدامة أو احترام للتوازن البيئي. لذا، مع تقدم التاريخ البشري، اتسعت دائرة استغلال عناصر البيئة بشكل أدى إلى تدهورها، رغم أن الإنسان جزء لا يتجزأ من هذه البيئة التي تشكل حلقة مترابطة، فالضرر الذي يلحق بالبيئة يؤثر بالتالي على الإنسان ذاته ومجتمعه، مما يبرز أهمية الوعي البيئي والعمل على استدامة الموارد.

وعلاقة هذا الموضوع بدراسة الوعي البيئي في الرواية تكمُن في أن الرواية تعكس وتُجسد تلك التطورات والتحديات البيئية التي مر بها الإنسان عبر التاريخ .ومن خلال سرد الأحداث والشخصيات والتفاعلات، تستطيع الرّواية أن تبين كيف تطور وعي الإنسان تجاه

---

[1] فاطمة جاري عايض القرني : البيئة الكَونيّة في الرواية السعودية نماذج مختارة ،دراسة في ضَوء النّقد البِيئي ،مجلّة الدِّراسات العربيّة ،دع ،دت ، المجلد 46، العدد 4، ص 1767.

البيئة، سواء كان وعيًا سلبيًا أدى إلى الاستغلال المفرط وتدهور البيئة، أو وعيًا إيجابيًا يحث على الحماية والحفاظ على الموارد الطبيعية .وبناءً على ذلك، سنحاول فيما يأتي التّطرق لتمثُّلات الوعي البيئي عند شعاع خليفة من خلال رواية «أحلام البحر القديمة »

1. تمثُّلات البيئة الطبيعية بين الوجود والوعي:

1.1. الرياح، النفط، الشواطئ:

تلعب تمثّلات البيئة الطبيعية في الرّواية دورًا محوريًّا في بناء العالم السّردي وإثراء التجربة القِرائية، فهي ليست مُجرد خلفية للأحداث بل تتداخَل مع الشّخصيات والحبكة لتشكيلِ الأجواء النّفسية والمعنوية. من خلال الرّواية تنعكِس البيئة الطّبيعية في عدة مقاطع، مثلًا في تجسيد المُناخ، في «الرّياح القويّة التِي تجعل الغبار والأترِبة تتطاير لشدّة جفاف الأرض ومع وجود الرّياح الدّائمة تبدو الأرض نظيفة وناعمة دائمًا »[1].

هذه الظّاهرة التي قد تبدو في ظاهرها سلبية، تكشِف في العميق عن وعي عالي وفهم دقيق لطبيعة البيئة وتفاعُلها المستمر مع الظّروف المحيطة. فالرياح لا تُعد فقط سببًا لتحريكِ الغبار، بل تعمل كآليّة طبيعية تُنقي الأرض من الشوائب، ممّا يجعلها تبدو دائمًا نظيفة وناعِمة. وهذا التصوُّر يعكس إدراك الشخصيات بأن الطبيعة نظام متكامل قادر على إعادة تشكيل ذاته ومعالجة مشاكله بنفسه. بالتّالي، يظهر الوعي البِيئي من خلال تصوير البيئة الطّبيعية ككيانٍ حيّ ومتفاعل، وليسَ مجرّد خلفية جامِدة.

فالرّواية تبرز كيف تُدرك الشخصيات التوازن الدقيق بين عناصِر الطبيعة، وكيف تتحوَّل الظواهر التي تبدو سلبيّة مثل الرياح الحارِقة والغبار إلى عوامل إيجابيّة تساهم في تطهيرِ الأرض وتجديدها. هذا الوَعي يعكس فهمًا عميقًا وشاملًا للطبيعة كنظام مُتكامل يعتمد

[1] شعاع خليفة. أحلام البحر القديمة، دار العلوم للطّباعة والنّشر والتّوزيع، عاصمة طرابلس، ليبيا، د ط ،1993م، ص 06.

على التكيف والتجدد، مما يفتح مجالًا للنّظر إلى البيئة ليس فقط كمورد يجب استغلاله، بل كمعطى يجب احترامه والإصغاء إليه لفهمِ العلاقة بين الإنسان والطّبيعة بشكلٍ أعمق .

بهذا التّمثيل يبرز مفهوم الوعي البيئي كوعيٍ تفاعلي مبني على الملاحظة، الخبرة، والاحترام المُتبادل بين الإنسان والطبيعة. فالشّخصيات لا تنظر إلى البحر ومخلوقاته كعقبات أو مخاطر فقط، بل كجزء لا يتجزّأ من نظام بيئي يجب التّعايش معه بحكمة، وهو ما يرسّخ فكرة بيئية تتّسم بالاستِدامة والتّوازن .

وتتحوّل الطبيعة في بعضِ المقاطع من كيان مخيف للبشر تارةً إلى كيان مساند ومعالج تارةً أخرى، يتجلّى ذلك بوضوحٍ من خلال استعمال مكوّنات الطبيعة كمصدر للعلاج، حيث تُستخدم مياه البحر وملحه كوسائلَ طبيعية للمداواة. فمثلًا في الحوار الذي دار بين «حمد » و « لؤلؤة »، قائلًا: « نرشّ الجراح بالرّماد أو الملح أو نربطها برباطٍ قويّ ليمنع تسرّب الدم.. »[1] .استِخدام مكوّنات الطبيعة في العلاج، مثل مياه البحر وملحه، يعكس وعيًا بيئيًّا عميقًا يُبرز العلاقة التّكامُلية بين الإنسان والبيئة. ففي الحوار المذكور «نستشفّ الوعي في توظيف الموارد الطبيعية المُتاحة كوسائل ناجعة للعلاج والشفاء .

هذه الممارسات تستَند إلى خبرات تراكُمية ونقل معرفي من أجيال سابقة، حيث ينظر الإنسان للطّبيعة كمصدر للعلاج والتّطهير، لا كمجرّد خلفية جامِدة أو مَورد يُستَغلّ فقط. الرماد والملح يُستخدمان كمطهرات طبيعيّة، في حين تعملُ مياه البحر على تنظيفِ الجروح ومنع العدوى بفضل خصائصها الكيميائية الفريدة. وهذا التّمثيل يعكس رؤية مُتكاملة للطبيعة كنظامٍ حيوي يوفر حلولًا متعدِدة تعزز البقاء والصحة، ويؤكد على احترام الإنسان للطبيعة وكيفية تعايشه معها من خلال فهم متجذر بالخبرة والاحترام لا بالهيمنة .

[1] شعاع، خليفة : أحلام البحر القديمة، ص 52.

مُجدّدًا نستشف كيف يجد المرء من المواد المستخلصة من الطّبيعة مصدرًا لرزقه: «لقد كان النفط هو مصدر الرزق الجديد الذي غير مجرى الحياة في هذه البلاد ووضع نهاية لتلك السنين المجدبة. ولقد اتجهت الأنظار إلى دُول الخليج عندما اكتشف النفط في إيران فأخذت الشّركات الأوروبية والأميركية تتسابق للحصول على اتفاقيات مع هذه الدول للتّنقيب عن النفط..»[1] .تمثّلات البيئة الطبيعية في هذا السياق تعكس دورَ الموارد الطبيعية كعناصر فاعلة وجذرية في صياغة مسارات التّاريخ الاقتِصادي والاجتماعي والسياسي لدول الخليج. فالحديث عن النّفط لا يقتصر على كونه مُجرد مادة خام تُستخرج من باطن الأرض، بل هو محور تحولات عميقة غيرت مجرى الحياة في المنطقة بأكملها.

والنفط هنا يشكل «مصدر رزق جديد» لأنه منح الدول الخليجية فرصًا غير مسبوقة للتنمية الاقتصادية وتحسين مستوى المعيشة، فتح آفاقًا للخدمات والبنى التحتية والتعليم والصحة، ما أنهى حقبة «السنين المجدبة» التي اتسمت بالاعتماد على مصادر رزق تقليدية محدودة كالزراعة أو الصَّيد .

علاوةً على ذلك، يحمل النّفط في طيّاته بعدًا حضاريًا وثقافيًا، ففي التحول من اقتصادات تقليدية تعتمد على البحر والصحراء إلى اقتصادات حديثة تعتمد على التكنولوجيا والصناعة، يبين كيف يتفاعل الانسان مع بيئته حيث يؤثر فيها ويتأثر بها. مما يساهم في احداث تحول نوعي على مستوى حياته الفردية والمجتمع ككل.

وفي المُقتطف القائل: «لقد قرأت إعلان لإحدى شركات السياحة في جريدة الراية عن رحلة ليست باهظة الثمن إلى تركيا، وستكون الرحلة في مدينة بورصة الواقعة على البحر وبعض الجزر، ستكون إن شاء الله رحلة ممتعة وسنستمتع برؤية الشواطئ والقوارب والسفن.»[2] ومنهُ، نستشفّ الوعي البيئي بوضوح من خلال الطريقة التي تم بها تصوير الطبيعة والبحر

[1] شُعاع، خليفة: أحلام البحر القديمة، ص 85.

[2] شعاع، خليفة: أحلام البحر القديمة، ص 145.

كمصدر للراحة النفسية والهروب من ضغوطات الحياة اليومية. عندما يشار إلى رحلة تركيا وخاصة إلى مدينة بورصة وعدد من الجزر، التي تتخللها الشواطئ والقوارب والسفن، فإنها تعبر عن رغبة عميقة في التفاعل مع البيئة الطبيعية، والاستمتاع بجمالها وهدوئها .

تمثيل الطبيعة هنا ليس مجرد وصف جغرافي لمكان الرحلة، بل هو انعكاس لحالة نفسية تبحث عن التوازن والسلام، حيث تصبح البيئة الطبيعية الملاذ التي توفر شعورًا بالطمأنينة والسكينة التي قد يفتقدها مشهد الحياة الصاخبة في المدينة. لا تعد رؤية الشواطئ والقوارب على كونها مجرد مشاهد بصرية، بل تحمل دلالات أعمق تتجاوز مظهرها الحسي، لتعبر عن أبعاد رمزية وثقافية تعكس علاقة الانسان بمحيطه. إنما تجسد أيضًا إيقاع الحياة الهادئ والمتحضر في آن معًا، الذي يدعو إلى استرخاء العقل وتجديد الطاقة .

الوعي البيئي يتجسد كذلك في تقدير هذه الطبيعة ككيان حي يجب المحافظة عليه والاستمتاع به بوعي واهتمام، دون استهلاك متسرع أو إضرار بالبيئة. إذن إن الحديث عن رحلة ليست باهظة الثمن يعني أيضًا رغبة في الوصول للطبيعة بشكل مستدام، بعيدًا عن الترف غير المسؤول. فالتواصل مع البيئة البحرية، واستنشاق الهواء النقي، وملاحظة حركة القوارب والسفن، تعزز مشاعر الانسجام الداخلي مع الطبيعة، وتفتح أمام الفرد آفاقًا جديدة لتقدير قيمة البيئة والحفاظ عليها.

بهذا الشكل، يصبح المشهد الطبيعي في هذا المقتطف رمزًا للخلاص والراحة النفسية، مع رسالة ضمنية حول أهمية الوعي البيئي كأساس للاستمرار في التمتع بجمال الطبيعة والحفاظ على توازنها .«وبينما هي تفكر وتسير بخطوات بطيئة غير آبهة بما حولها وجدت نفسها بقرب الوعاء الفخاري الخاص بالماء العذب فصبت الماء فيه ثم رسمت خطاً بالسكين الموضوعة بجانب الوعاء على قطعة الخشب التي تحملها لهذا الغرض، فكل خط يعني قربة ماء واحدة واستمرت في عملها هذا إلى أن امتلأ الوعاء، ثم وضعت القربة جانباً وجلست لتستريح بجانب مكان جحال الماء الظليل ومسحت عرقها الذي تصبب من كل مكان في

جسدها.»[1] هذا المشهد يعبر عن علاقة الإنسان بالبيئة الطبيعية التي تحيط به، ويشكل تصويرًا رمزيًا عميقًا يُبرز تمثلات نفسية وثقافية متجذرة في الطبيعة والواقع الحياتي .

بدايةً، الوعاء الفخاري يحمل دلالة على أصالة الحياة وبساطتها، والماء العذب فيه يمثل مصدر الحياة، وهو عنصر طبيعي هام في البيئات القاحلة أو المناطق التي تعاني من شح المياه. والمؤثرات الطبيعية تظهر في المشهد من خلال الجحال الظليل الذي يوفر ظلًا وراحة وسط حرارة الجو، مما يعزز شعور القارئ بجهد وتحد لكنه أيضا يبرز قيمة الطبيعة وموارد استمرار الحياة.

كذلك، رسم الخطوط بالسكين على قطعة الخشب لتسجيل القرب التي تم ملؤها هو تمثيل عملي يقوم على حساب الجهد المبذول، ويعكس تقديرًا عميقًا للموارد وتوثيقًا دقيقًا لما تم تحقيقه. هذا التصرف يثبت وعي الإنسان بلزوم تحمله مسؤوليته تجاه بيئته وما توفره من موارد طبيعية له ولغيره يربط الإنسان بالبيئة ارتباطا واعِيا ومسؤولا، وليس مجرد فعل شكلي، بل عمل يعكس احترامًا للطبيعة والموارد المحدودة .

بينما، الجلوس للراحة ومسح العرق يرمزان إلى التعب الناتج عن العمل الجاد في ظل ظروف طبيعية صعبة، مما يضفي أحاسيس للقراء بالمجهود والتحدي، لكنه أيضًا يُبرز تقدير الطبيعة لما تقدمه من موارد تساعد على استمرارية الحياة.

خلاصة القول إن هذا المشهد يعبر عن تمثلات بيئية متكاملة، تجمع بين الاعتماد على الطبيعة والحياة من النعم التي تمنحها، التعاطي مع الموارد بحكمة وحرص، بالإضافة إلى تصوير جو نفسي يعكس القناعة والهدوء وسط تحديات البيئة.

[1] شعاع، خليفة : أحلام البحر القديمة ، ،ص 57

2.1. البحر:

ممّا لَا ريْب فيه، أنّ البحر يتجاوز كونه مجرد مساحة من المِياه، فهو رمز للحياة والاستمراريّة، ومصدرٌ للرِّزق وقوّة لا تُقهَر، يعبر عن روح التحدي والصمود أمام الصعاب. يتجلّى ذلك في الرّواية:

وتتجسّد أيضًا البيئة الطّبيعية في «الإشارة للتّعامل مع مخلوقات البحر من قِبَل البحّار ومعرفته لأماكنِ تواجُدها وكيفيّة الهروب منها واتّخاذ حذره منها».[1] تمثلات البيئة الطبيعية في هذا الصّدد تظهر من خلال العلاقة الحيّة بين الإنسان والبيئة المُحيطة به، خاصّة في تعامله مع مخلوقات البحر. يعكِس تعامل البحّار مع تلك الكائنات معرفةً دقيقة وعميقة بأماكنِ تواجُدها وسلوكيّاتها، مما يدل على وعيٍ بيئي متقدم يتجاوز التّصورات البسيطة للتعايُش إلى فهم فعّال للطبيعة وقوانِينها. هذا الفهم يدفع البحّار إلى اتّخاذ الحيطة والحذر اللازمين، وهو جزءٌ من احترامه للنظام البيئي وتفاعله مع الطبيعة بطريقة قائمة على المعرفة لا على القهر أو الاستغلال الأعمى.

«كان سالم وأُسرته يعِيشون في منزلٍ كبير وينعمُون بحياة طيّبة ومالٍ وفير، وقد اعتادُوا مساعدةَ الفُقراء والمُحتاجين. وكان سببُ ثراء سالم الكبير هو أنّه وآباءَه وأجدادَه كانوا من تُجار اللُّؤلؤ.. .»[2]وهنا دلالة واضِحة على أنّ البحر يتعدّى كونه مساحةً مائيّة بسيطة ليصبح رمزًا للحياة والاستمراريّة، ومصدرًا رئيسيًا للرِّزق والقوة التي لا تُقهَر. والبحر هنا ليسَ فقط مكانًا للصيد أو التنقل، بل هو فضاءٌ يحمل في طيّاته فرصًا عظيمة للتّحدي والمكافأة، ولتعزيز الصُّمود في وجه صعوبات الحياة. فتجارة اللؤلؤ، التي استمرت عبر الأجيال في أسرة سالم، تعكِس كيف استطاعَ الإنسان أن يستغلّ مواردَ الطبيعة بحذرٍ وحكمة، مُستثمرًا في عمل شاق يتطلب الصبر والإصرار، لينال بذلك رزقًا حلالًا وثروةً تستند إلى صلابةِ العلاقة بالبحر .

---

[1] شعاع خليفة، أحلام بحر القديمة، ص 46 _ 47.

[2] شُعاع، خليفة : أحلام البحر القديمة ،ص 08

كما أنّ ارتباط الأجيال بهذا النّشاط يدل على الترابط الوثيقِ بين الإنسان والبيئة التي يعيش فيها، حيثِ يتوارثون الخِبرات والمعرفة لتأكيد بقاء الحرفة والصمود أمام التحديات. هذه العلاقة المتينة تمنحُ البحر قيمة تتجاوز حدوده الطّبيعية، فتجعل منه عنصرًا جوهريًّا في بناءِ الإرث الاجتماعي والثّقافي والاقتِصادي للأُسرة والمجتمع .

وفي المُقتطف القائل «اضطُر حمد عند وصوله للبيت الوقوف بالسيارة بعيدًا عنه لكيلا تغوصَ إطارات السيارة في الرمال النّاعمة، فنزلوا وذهبوا مشيًا على الأقدام. وكان هدؤه مريح يغمر المكان فيه عدا صوتَ أمواج هادئة تتسلل إلى الأذن بسهولة ويسر عندما اقتربوا من البوابة التي تشرف على الشاطئ، والتي تحول لون خشبها المبلل بقطرات المطر إلى لون الملح، ووصول رذاذ مياه البحر إليه عند اشتداد العواصف وارتطام الأمواج وجدوا أن أجزاء الباب السفلية قد أتلفت.. »[1].

يعكس بعمق العلاقة المتشابكة بين الإنسان والبيئة الطبيعية، حيث يتجسد البحر كعنصر أساسي ليس فقط في المشهد الطبيعي، بل كذاكرة حية تحمل تاريخ المكان وذاكرة أهله، بينما يُمثّل البيت الساحلي الجسد الذي يحتضن هذه الذكريات ويحمل ندوب الزمن والماضي.

بالحديث عن وقوف السيارة بعيدًا لتجنب غوص الإطارات في الرمال الناعمة يعبر عن حساسية البيئة الطبيعية وأثرها المباشر في سلوك الإنسان. هذه التفاصيل توضح أن البيئة ليست مجرد خلفية ساكنة، بل كيان حي يتحكم في حركة وتفاعل الفرد مع فصائل المكان .

كذلك، الهدوء المريح الذي يغمر المكان ويختلط بصوت الأمواج الهادئة، يشكل مشهدًا نفسيًا يعكس الاستقرار المؤقت الذي يعيشه القادمون. صوت الأمواج الذي "يتسلل إلى الأذن

[1] شعاع، خليفة : أحلام البحر القديمة، ص 136

بسهولة" يعبر عن إيقاع الطبيعة المستمر الذي يهدئ النفس ويخلق انسجامًا عميقًا، مما يؤكد تأثير البيئة كمصدر للسلام والرّاحة .

المشهد التفصيلي للبوابة الخشبية التي تغير لونها بفعل مياه المطر ورذاذ البحر يشير إلى مرور الزمن وتأثير قوى الطبيعة المستمرة. إتلاف أجزاء الباب السفلية جراء العواصف وقوة الأمواج يعكس ندوب الماضي التي يحملها المنزل، وكأن الطبيعة تكتب على الجسد الخشبي قصة الزمن والتحديات، تمامًا كما يحمل الإنسان علامات ماضيه .

بالتّالي، يرمز البحر إلى الذاكرة الجماعية للمكان، فهو شاهد على الحكايات والأحداث التي مرت به، ويشكل عنصرًا فاعلا ينقل الأحاسيس ويؤثر على الحالة النفسية. أما البيت الساحلي فهو الجسد المتحمل لتلك الذكريات، حيث تخزن ندوب الزمن وتحافظ على علاقة الإنسان بماضيه وتراثه. ومن هنا تنبع أهمية الوعي بالعلاقة البيئية التي تجسّد الترابط بين الإنسان والبيئة عبر أبعاد نفسية وثقافية أكثر عمقًا.

بالحديثِ عن البحر وتمثّلاته، نجِده كذلك يُشير إلى التّحدي والصّراع من أجلِ البقاء في قول حمد: «في اللّحظات القلِيلة التي نقضيها في المياه ونُعاني مشقّة حبس أنفاسنا لا نجمع المحّار فقط بل نجمعُ كلّ ما نجده أمامنا وبسرعة فائقة وكثيرًا ما اصطَدمت أيدينا عند مُحاولة اقتِلاع المحّار بصُخورٍ حادّة الحواف أو مخلوقات شوكيّة فتنغرِز الأشواك في أيدينا وتنزف ».[1] ومن حديثِ حمد عن البحر وتجربته في جمع المحّار ينعكس بوضوحٍ تمثّل البحر كرمز للتّحدي والصراع من أجل البقاء. ففي اللَّحظات القليلة التي يقضِيها في المياه، لا يقتصر جُهده على جمع المحّار فقط، بل يسارع لجمعِ كلّ ما يمكنه العثُور عليه بسرعة، وهذا يعبّر عن طبيعة البحر كميدانٍ يتطلّب سرعةَ التصرف واليقظة، حيثُ الفرصة قد تكون محدودةً والزمن ضيّقًا .

[1] شُعاع، خليفة، أحلام البحر القديمة ص 56

أمّا الإصابات التي تلحق بحمد خصوصا على مستوى اليدين عند محاولة اقتلَاع المحّار من الصخُور الحادة أو مواجهة مخلوقاتٍ شوكيّة، فهي تُجسد الصّعوبات والعَقبات التي تواجه الإنسان عند سعيِه للرّزق والحياة. هذه المشقّات تُمثل رمزًا للمعاناة الجسديّة التي يتحمّلها الإنسان في سبيل تحقيق هدفه وتأمين حيَاته، كما تُعبر عن مدى الصبر والقوّة التي يجب أن يتمتّع بها في مُواجهة البيئة القاسية والمحفوفة بالمخاطر .

في هذا السّياق، يُصبح البحر مسرحًا للتحدي الذي يختبِر الإنسان من خلال الصّراع مع الطبيعة، فهو ليس مُجرد مصدرٍ للرّزق فحسب، بل هو اختبار دائم للقُدرات والصلابة، ما يعزز معنى الصمود والعزيمة في وجه الصعاب. بهذا الشكل، تتجلّى دلالات البحر كرمزٍ حيّ للحياة التي تتطلّب بذلَ الجُهد والتّضحية لتحقيقِ استمراريّتها .

وفي المقطع القائل: «لا أحد يصدّق إن تلك المياه الزرقاء الجميلة تُخفي حياةً مخيفة في أعماقِها، لقد سمعت عن موت بعض البحّارة أثناء هذه الرحلات وسمعت عن إصابة بعضهم بالجُروح والإصابات الخطيرة ... إذن لا يفيد حمل السكين .لأنّ قوة هذه الحيوانات ليست في حجمِها وشراستها بل لأنّها تعيش في بيئتها ومهيّئة للحركة فيها بسرعةٍ. وسهولة، أما نحنُ فنجد صعوبةً في التحرك وحبس أنفاسِنا طيلةَ الوقت داخل الماء».[1] الحديث هنا يُبرز البحر ليس فقط كبيئَة طبيعيّة، بل كفضاءٍ مركزي يعكس التّحدي الحقيقي والصّراع من أجل البقاء. فعلى السّطح، تبدو المياه زرقاء وجميلة، لكن في الأعماق يكمُن خطر كبير، حياة مخيفة ومقاتلَة تفرض على الإنسان مواجهة صعوبات جسيمة. هذه الحياة البحرية القاسية تظهر قوَة المخاطر المتواريَة تحت جمال البحر، وهذا ما يجعلُ الإنسان في حالة يقظة دائمة وخوف مستمر .

بحسب النص، شراسة الحيوانات البحريّة لا تعتمِد على الحجم فقط، بل على طبيعة بيئتها التي تؤَهلها للتحرك بسرعة وسهولة داخل الماء، بينما الإنسان يجد صعوبة في التنقل

[1] شُعاع، خليفة : أحلام البحر القديمة ،ص 46

وحبس أنفاسه في هذا الوسط الغريب عليه. هذا يرمُز إلى الشعور بالعجز والتّحديات التي تواجهها البشرية في مواجهة قِوى الطبيعة، وحتميّة التكيّف مع المحيط الذي يتحرّك فيه الإنسان .

وبذلك، يتحوّل البحر لفضاءٍ مركزي يُظهر التبايُن بين قوى الطبيعة وقدرة الإنسان على مُواجهتِها، فيصبح رمزًا للتحدي، الخطر، والصراع، ولكنّه أيضًا رمزية للصمُود والتحمّل، والتعلم من البيئة المحيطة بُغية الاستِمرار

وفي قول حمد: «كلّما تحدثتُ عن البحر تعود إليَّ ذكرى الرحلات البحرية البهيجة وذِكرى العَودة حيث يستقبِلنا الأهالي تعلو الفرحة وجوههم.[1] والبحر هنا يتجسّد ليس فقط كعنصر طبيعي، بل كفضاء رمزي يحمل في طيّاته تراكُمات الذكريات التي تنسج بين أبعادِ الزّمان والمكان علاقةً عميقةً للإنسان مع مُحيطه وذاته. فالحديث عن الرحلات البحرية والعودة إلى الوطن، وزَخم المشاعر التي ترافق استِقبال الأهالي، لا يعبر فقط عن تفاصيل حدث مادي، بل عن تلاقٍ إنساني حقيقي بين زمنين: زمن المُغامرة والتحدّي في البحر، وزمن الانتِماء والدّفء في الوطن .

البحر إذن، يُصبح وسيلة تستحضِر الذّاكرة، حيثُ يحتفظ بكلّ لحظة وإن كانت بسيطةً مثل ابتسامة أو فرحة استِقبال، وهذا الاحتفاظ يجعل منه «مخزنًا للذكريات» يحمل كل ما يخص علاقة الإنسان بحياته اليومية، تطلّعاته وأحلامه، وتحدِياته. كما أن هذا الفضاء يُجسّد أثر التّجربة الإنسانية التي تحفِر في عمق النفس، فتكون محفّزًا للحركة والتّجديد والصبر .

بهذا المعنى، يُصبح البحر أكثر من مجرّد بيئة مادية، بل ميدانًا وجدانيًّا يعكس الحنين، الفرح، والأمل، ويحفظ للمكانِ قيمة رمزيّة تلتقي فيها الذّكريات الشخصية مع الذاكرة الجماعية،

[1] شُعاع، خليفة: أحلام البحر القديمة، ص 47

مُعلنة بذلك عن حضورٍ دائم للبحر في حياة الإنسان، ليس كخطر أو بيئة قاسية فقط، بل كجسرٍ متين بين الحاضر والماضي، بين الإنسان وأُسرته ومُجتمعه .

«المخاطر التي تُواجه البحّارة. فقد كان البحر دائمًا يمثل غموضًا ويمثل قوة وخيرًا وفيرًا»[1]. البحر، بهذا التناقض بين غموضه وخيرِه الوفير، يمثل رمزًا حيًا لقوى الطبيعة التي تجمع بين الجمال والتحدي في آنٍ واحد. فتمثلات البحر بهذه الصورة تعكس فهم الإنسان لطبيعته المركبة؛ فهو مصدر للحياة والرزق من خلال غناه بالأسماك والثروات البحرية، ولكنه في الوقت نفسه يحمل في طياته مخاطر لا تُحصى تواجه البحّارة، إذ يمكن أن تتحول أمواجه إلى عواصف عاتية أو تيارات خطيرة تهدد الأرواح والممتلكات .

هذا الغموض الذي ينطوي عليه البحر هو ما يجعل الرحلة البحرية تجربة ذات بعد وجودي، حيث يقف الإنسان أمام قوة تذكّره بضعفه وحاجته للارتباط بالخالق وبطبيعةٍ أكبر منه. من هنا، يمثل البحر تحدياً مستمرًا يدفع البحّار إلى التحلي بالشجاعة والمهارة والمعرفة بأسرار الطبيعة، كما يرسخ لديه قيم الصبر والصمود والثقة بالنفس .

وفي الوقت نفسه، البحر يُعطي خيرًا وفيرًا لا يقدر بثمن، فهو يمنح الإنسان الغذاء والرزق، ويشكل نقطة اتصال بين الشعوب من خلال التبادل التجاري والثقافي. هذه القيم الإيجابية تعزز مكانة البحر كعنصر طبيعي حيوي له دور في استمرارية الحياة والازدهار .

لذا، تمثلات البحر تجمع بين وجهين متكاملين: قوة مهيبة تتطلب الحذر والاحترام، وخير واسع يستحق الجهد والمخاطرة. وهذا التوازن هو ما يجعل البحر مصدرًا إلهام حضاري وأدبي وإنساني لا ينضب .

«كانت تحمد الله كثيرًا الذي حفظ والدها من الوحُوش البحرية الكثيرة ولكن مرضه الذي أقعده كان يحزنها كثيرًا ، وهذا هو حال معظم البحّارة فإذا نجوا من الموت استهلكت الرّحلات البحرية

[1] خليفة، شعاع، أحلام البحر القديمة، ص 50

الطويلة على تلك المراكب البدائية قوتهم وطاقتهم وتركتهم عرضة للأمراض المختلفة.»[1] .في هذا السّياق، تمثلات البحر تعكس حقيقة مزدوجة ومعقدة تتعلق بحياةِ البحّارة وتجارُبهم مع المجهول والخطر. فالبحر هنا ليس مجرد فضاء مائيّ، بل هو كيان له تأثير نفسي وجسدي يمتد إلى أبعد من كونه مسارًا للسفر والتجارة .

أوّلًا، تمثل «الوحوش البحرية الكثيرة» رمزًا للخطر الداهم الذي يحيط بالبحّار طوال رحلته، وهو تعبير مجازي عن المخاطر الحقيقية التي يُواجهها من أمواج عاتية، وحوادث غرق، وهجمات الكائنات البحرية، فضلًا عن العزلة والاضطرابات الجوية. هذا يجعل من البحر اختبارًا لشجاعةِ الإنسان وصلابته، ويفرض عليه الاعتماد على الإيمان والصبر كعواملَ مُساعدة نفسية تواسيه في مواجهة هذه المخاطر .

ثانيًا، المرض الذي أقعدَ حمد يبرز جانبًا آخر من تأثير البحر، وهو الأثر الجسدي الناجم عن الرحلات البحرية الطويلة في ظروف بدائية. فالبحّارة في الماضي كانوا معرضين لأمراض عديدة ناجمة عن سوء التغذية، ونقص النظافة، والإجهاد المستمر، بالإضافةِ إلى التعرُض لعوامل الطّقس القاسية. وهذهِ الأمراض لا تُؤثر فقط على الفرد بل تمتد لتؤثر في أسرهم ومجتمعاتهم، ممَّا يجعل البحر ليس فقط مصدر رزق لكنه أيضًا منبع للمعاناة والتحديات الصحية .

ويعكس ذلك واقعًا تاريخيًّا واجتماعيًّا، حيثُ كانت حياة البحّار مرتبطة ارتباطًا وثيقًا ببيئتهِ الطبيعية وظروف عمله، وأنّ النجاة من مخاطرِ البحر لا تعني نهاية المعاناة، بل بداية لفترة تعافي مؤلمة قد تستمر لفترة طويلة. كما أن هذه الظروف الصعبة تؤدي إلى ترسيخِ قيم التضحية والإيثار وأهمية الدعم المجتمعي والعائلي لدعمِ البحّارة وأسرهم .

[1] شُعاع، خليفة: أحلام البحر القديمة، ص 50

بهذا الفهم، يُصبح البحر رمزًا لمُواجهة الإنسان للطبيعة بكل ما تحمله من تحديات وفرص، ويدعو الباحث إلى النظر بعمق في العلاقة بين الإنسان والبيئة البحرية كعلاقةِ تفاعُل مستمر تتطلّب مزيجًا من القوّة الجسدية، والمعنويّة، والمعرفية للبقاءِ والاستمرار .

«كان الأطفال يشاركون في الذهاب إلى الشاطئ للعب والسباحة والاستمتاع بالجري على تلك الرمال الرطبة الناعمة، وكذلك يذهب الرجال للصيد وجمع شباكهم في ذلك الوقت المبكر، ويعمل ذلك التجمع السياحي اليومي على توطيد العلاقات بين الأهالي.»[1] في هذا المُقتطف، يتجلّى البحر كفضاء حيوي للتواصل الاجتماعي، مما يعكس الدور الاجتماعي والثقافي الذي يلعبه منذ القِدم في حياة المجتمعات الساحلية. حضور الأطفال الذين يمرحون على الشاطِئ باللعب والسباحة، وهو نشاط يندرج ضمن الترفيه العائلي، يبرز كيف أن البيئة البحرية ليست مجرد مكان طبيعي بل مساحة عائليّة تلتقي فيها الأجيال وتتشارك اللحظات والذكريات .

أما الرجال الذين يذهبون للصيد وجمع الشباك في ساعات الصباح الباكر، فهم يمثلون جانب العمل التقليدي والاقتصادي الذي كان له شأن كبير في تعزيز روابط التعاون والتكافل بين أفراد المجتمع. هذا النشاط اليومي يجمع بين الجهد والعمل المشترك، مما يعزز الأواصر الاجتماعية بين الأهالي من خلال تبادل الخبرات ومساعدة بعضهم البعض .

وجود هذا التّجمع السياحي اليومي على الشاطئ هو بمثابةِ فضاء طبيعي مشترك للّقاء والتفاعل الاجتماعي، حيث تُبنى العلاقات على أساس التشارك في الحياة البحرية والثقافة المحلية. فالشاطئ يصبح مركزًا يلتقي فيه الناس ليس فقط لأغراض الترفيه، بل أيضًا لتبادل الأخبار، تعزيز اللُحمة الاجتماعية، وتشكيل حالة من الانتماء الجماعي .

[1] شُعاع خليفة: أحلام البحر القديمة، ص 06.

بالتالي، يُمثل البحر هنا أكثر من مجرد عنصر جغرافي طبيعي؛ إنه مرآة لحياة المجتمع وأداة فعالة في تنمية الروابط الاجتماعية والثقافية بين الأهالي، مما يعكس كيف أن الفضاءات الطبيعية يمكن أن تتحول إلى ساحات للتواصل والتضامن الاجتماعي.

1.3. المكان الساحلي القرية/الميناء :

1.3.1 القرية:

تتجلّى القرية كمشهد حي يعبر عن انسجام الإنسان مع قوى الطبيعة التي تحكم حياته، حيثُ تمثل قوانين المناخ والتضاريس الإطار العام الذي ينظم نمط الحياة اليومية .

«كانت حياتهم متمثلة في بناء السفن وصيد السمك وتربية الحيوانات والبناء وغيرها من هذه الأعمال، ولكن كانت التجارة عن طريق البر والبحر هي أهم هذه الأعمال على الإطلاق» .[1]. في هذا المقتطف، يمكننا أن نستشف بوضوح كيف أن طبيعة المكان الساحلي شكلت الأساس الذي استندت إليه حياة الناس وأعمالهم اليومية، خاصة في بناء السفن وصيد السمك، وهما نشاطان يعكسان ارتباطًا وثيقًا بالبحر. هذه الأنشطة ليست مجرد مهن، بل هي تجسيد لانسجام الإنسان مع بيئته الطبيعية، حيث يواكب الناس في تلك المناطق البحر ويستثمرونه كمصدر رزق وحياة .

بناء السفن مثلًا، يعكس خبرة متراكمة تتطلب معرفة دقيقة بخصائص المياه وحركة الأمواج والرياح، ما يدل على وجود علاقة تكاملية بين الإنسان والبيئة البحرية. هذه السفن لم تكن للسفر فقط، بل كانت وسيلة حيوية للصيد والتجارة، مما يجعلها عنصرًا أساسيًا في اقتصاد المجتمع الساحلي .

[1] شعاع، خليفة: أحلام البحر القديمة، ص 08

أما صيد السمك فهو نشاط يعتمد على استغلال البحر كمورد مستدام إذا ما تم بعناية واحترام للطبيعة، ويؤكد تواصل الناس مع الفصول وتغيرات الطقس وحركة الأسماك. مثل هذا النشاط يعزز الحياة الجماعية عبر التعاون بين الصيادين وتبادل الخبرات .

ومع ذلك، يبرز هنا دور التجارة عن طريق البر والبحر كأهم الأعمال، مما يفسر كيف أن الموقع الجغرافي الساحلي أتاح فرصًا للتبادل التجاري بين المجتمعات المختلفة. فالطرق البحرية لم تكن مجرد مسارات مائية، بل كانت شرايين حيوية تربط بين الموانئ والمدن، مما مكن السكان المحليين من توسيع أفقهم الاقتصادي والثقافي .

إجمالًا، الطبيعة الساحلية فرضت نمط حياة متكامل ومتوازن بين العمل اليدوي في البحر والبر، حيث البيئة أصبحت مصدر إلهام وفرصة للتنمية المستدامة. هذا التنوُع في النشاطات يعكس كيف أن الإنسان في الساحل لا يعيش منعزلًا عن بيئته، بل هو أكثر تفاعلًا وتكيفًا معها .وفي العبارة المذكورة «عن بيوت القرية المتلاصقة، والمبنية من سعف النخيل وجذوع الشجر، التي ذُكرت على أنّها تبدو وكأنباتٍ منبثقٍ من هذه الأرض لتواجه رطوبة البحر وحرارة الرمل» [1].يتجلّى فعلًا وعي عميق ومُتعدد الأبعاد بتنوع البيئة المحيطة والارتباط العضوي بها، لكنّه يتجاوز مفهوم التنوع الحيوي التّقليدي ليشمل ارتباطًا ثقافيًا ورمزيًا متجذرًا بطبيعة المكان .

يمكن تسميتها بـ«الوعي البيئي الثقافي» حيثُ لا ينحصر الوعي هنا فقط بفهم التنوع البيولوجي كمجموعة من الكائنات الحية، بل يشمل الارتباط الرمزي والوظيفي بين الإنسان والموارد الطبيعية المحيطة به. فاختيار مواد البناء الطبيعية ذات الأصلِ العضوي كالسعف وجذوع الأشجار يُظهر إدراكًا عميقًا بخصائص هذه المواد، ومدى ملاءَمتها لمواجهة تحديات المناخ كالرطوبة وحرارة الرمال، مما يدل على تكيف متوارث وثقافي مع البيئة .

[1] شُعاع، خليفة: أحلام البحر القديمة، ص 48

هذا الوعي يُعبر عن احترام وتقدير للطّبيعة لا تقتصر على الاستغلال فحسب، بل تشمل فهم وظيفة كل عنصر طبيعي كجزء من منظومة متكاملة تمنح الإنسان القدرة على العيش بتناغمٍ واستدامة. التشبيه بالنبات الذي ينبثق من الأرض يرمز لهذا الارتباط العميق بين الإنسان والبيئة، حيثُ يصير البناء امتدادًا عضويًا للأرض، ووسيلة للبقاء تناسب الظروف البيئية .

إذن، هذا الوعي البيئي الثقافي يفتح الباب لفهمٍ أعمق حول كيفية انتقال المعرفة البيئية عبرَ الأجيال، وكيف تُترجم هذه المعرفة إلى مُمارسات بُنائية ومجتمعية تعزز الاستِدامة والتوازن البيئي .

كذلك في قول حمد «أنا مثل السّمكة التي تفارق الحياة إذا تركت الماء، أنا أيضًا لن أفارق هذا المكان إلّا إلى القبر» [1]وهنا تتجلى تمثّلات القرية بشكل عميق وحيّ، من خلال التشبيه الذي يعكس الترابط العضوي بين الإنسان ومكانه، حيث يُشبه نفسه بالسمكة التي لا تستطيع العيش بدون البيئة الطبيعية التي تحيط بها، هنا الماء .

هذا التشبيه يوضّح كيف أن القرية ليست مجرد مكان جغرافي، بل هي كيان حياة وروح مرتبطة بالإنسان ارتباطًا وثيقًا لا يُمكن فصله، بما في ذلك تراثه، ثقافته، وعلاقاته الاجتماعية والبشرية التي تنبع من المكان ذاته .وهنا، المكان ليس فقط مصدرًا للعيش، بل هو الهوية والراحة والأمان، بحيث يصبح جزءًا لا يتجزأ من كينونة الفرد .

تمثُّلات القرية هنا تعكس معاني الانتماء العميق والاستمرارية، حيث يرى الفرد نفسه كجزء من سلسلة حياة مستمرة تتصِل بالأرض والمجتمع، وتاريخ طويل يشكل روحه. ترك القرية يشبه ترك عنصر أساسي للحياة، وهو ما يعزز الشعور بالثبات والتمسك بالمكان رغم كل الصعوبات .

[1] شُعاع، خليفة: أحلام البحر القديمة، ص 85

هذه الصورة تصف علاقة إنسانية روحية مع المكان، تدفع الإنسان لأن يبقى مخلصًا لموطنه، وواعيًا بأن حياته مرتبطة به ارتباطًا جينيًا وروحيًا أكثر منه مجرد اختيار سكن .

بعد ذلك، «يتمّ الانتقال بالوصف إلى البيت القديم الملقب بـ «الصامد»، الذي رغم تقلبات الزمن ومحنه، يظل قائمًا بثبات. هذا البيت مبني من مواد محلية مستمدة من البيئة الساحلية، مثل الحجارة البحرية، وخشب الساج، وسعف النخل، ما يعكس ارتباطه العميق بالمحيط الطبيعي. يمثل هذا القصر رمزًا للمرحلة التاريخية التي تميزت بالبساطة، والقوة، والتماسك، حيث كان البناء يعبر عن علاقة جدلية متينة بين الإنسان والبيئة الساحلية، وهو شاهد حي على فن البناء التقليدي الذي يدمج بين الاستدامة والهوية الثقافية».[1] البيت القديم المعرف بـ«الصامد» ليس مجرد بناء تقليدي يعود إلى زمن مضى، بل هو تعبير حي عن وعي بيئي راسخ في نفوس أهل القرية الساحلية. إن ثباته وصموده أمام تقلبات الزمن يرمزان إلى قوة العلاقة بين الإنسان وبيئته والتي ترتكز على احترام الطبيعة واستخدام مواردها بحكمة وذكاء .

مبدئيًّا، اعتماد بناء البيت على مواد محلية مثل الحجارة البحرية، خشب الساج، وسعف النخل، ليس مصادفة عابرة، بل هو دليل على معرفة عميقة بالمكونات الطبيعية المتوفرة وإمكانية استغلالها بشكل مستدام. هذا الاستخدام الذكي للموارد يشير إلى وعي بيئي مبكر حيث لا يتم استنزاف البيئة بل الاستفادة منها بحذر، مما يضمن استمرارها لأجيال قادمة .

كما يعكس البناء القوي والمتين للبيت قيمًا أساسية تقوم على البساطة والتوازن، إذ إن اصطناع المتانة دون تعقيد أو بُهرجة زائدة يدل على احترام الإنسان لبيئته وعدم الإسراف في الموارد. هذه القيم تتلاءم مع مفهوم الاستدامة البيئية التي تدعو إلى المحافظة على التوازن بين حاجات الإنسان وقدرات البيئة على الاستيعاب.

[1] شُعاع، خليفة: أحلام البحر القديمة، ص 136 _ 137

إضافةً إلى ذلك، يمثل البيت شاهدًا على فن البناء التقليدي الذي جمع بين الأداء الوظيفي والجمالي، ليعبر عن هوية ثقافية مستمدة من البيئة الطبيعية. هذا التراث المعماري ليس فقط يحكي تاريخًا عمرانيًا، بل هو رسالة غير مباشرة تعبر عن ضرورة تقبل الطبيعة وملاءمتها بدلًا من محاربتها. فمن خلال الصمود في وجه الزمن، يُبرز البيت إمكانية تحقيق تناغم فعلي بين الإنسان والبيئة .

بعد ذلك، يُطرح من طرف ابتسام اقتراح تحويل البيت القديم إلى متحف يحمل اسم «بيت المحار» كخطوة تهدف إلى حفظ هذا المكان الساحلي وتوثيقه، حماية له من الوقوع في طيّات النسيان. هذا المقترح يعكس تحولا جوهريًا في قيمة البيت؛ إذ لم يعد مجرد مسكن يقطنه الناس، بل أصبح رمزًا حيويًا يحفظ ذاكرة المكان وتراثه الثقافي، ليُحتفى به ويسرد حكايات الماضي عبر الأجيال».[1] وعليه، فاقتراح تحويل البيت القديم إلى متحف يحمل اسم «بيت المحار»، كما طرحته ابتسام، ليس مجرد فكرة تعبر عن تغيير وظيفة مكان تاريخي، بل هو تجسيد لرغبة عميقة في تثبيت الهوية الثقافية وحماية التراث من الاندثار. هذا التحول يعكس إدراكًا متزايدًا لأهمية الحفاظ على الذاكرة الجماعية للمجتمع الساحلي، والحفاظ على الروابط بين الحاضر والماضي .

حيثُ، إنّ تحوّل البيت من مسكن عادي إلى متحف يعني إعطاءه دورًا جديدًا يتجاوز الاستخدام الشخصي ليصبح مكانًا مفتوحًا للجميع، لاختيار الاحتفاء بتاريخ القرية وروحها. المتحف يمثل وسيطًا تربط من خلاله الأجيال، حيث يمكن للمجتمع المحلي والزائرين على حد سواء أن يلمسوا جوانب الحياة التقليدية، ويتعرفوا على القيم والأحداث التي شكلت هوية هذا المكان .

وفي ظل التحولات الاجتماعية والاقتصادية التي يعاني منها العديد من المناطق الساحلية، يصبح الحفاظ على مثل هذه الأماكن ضرورة للحفاظ على التراث المادي والمعنوي،

[1] شعاع، خليفة : أحلام البحر القديمة ،ص 137

باعتبارها شاهدة على قصص الناس، آلامهم، أفراحهم، والتحديات التي واجهتهم. ضمن هذا الإطار، «بيت المحار» سيكون منارة تذكّر الجميع بأهمية التمسك بالجذور والثقافة الأصلية .

هذا الطرح يبرز الاهتمام بالاستدامة في الحفاظ على المواقع التاريخية، إذ يساهم المتحف في تعزيز السياحة الثقافية التي تعد مصدرًا اقتصاديًا مستدامًا للقرية، ويحفز على الإقبال على التراث واستخدامه كوسيلة للتعليم والتوعية البيئية والثقافية .

باختصار، تحويل البيت إلى متحف يحمل اسم «بيت المحار» هو خطوة استراتيجية تعكس رؤية متجددة في الحفاظ على الذاكرة الجمعيّة، وتأكيد على أن التراث ليس مجرد ماضٍ، بل إطار حيّ يثري الحاضر ويؤسس لمستقبل متجذر بالقيم والهوية.

«عندما انتهى بهم طريق مدينة الخور، وتوغلوا في داخلها ظهرت الحيرة على وجوههم جميعا، ولم يعرفوا أي طريق يسلكون فقد تغيّر المكان وظهرت مباني جديدة وشقت شوارع في كل الجهات، وبعد مضي وقت طويل وهم في بحثهم، وبعد قيامهم بعدة جولات وسؤال العديد من المارة وجدوه فإذا به شديد القرب من الشاطئ وإذا به منعزلاً تماماً عن الأحياء السكنية أما ما كان بقربه من بيوت قديمة فقد هدمت كلها»[1] . هذا المُقتطف الذي يصف وصول العائلة إلى مدينة الخور ويبرز حيرتهم في اختيار الطريق، يعكس بوضوح تعبيرًا عميقًا عن التحولات البيئية والاجتماعية التي طرأت على المكان عبر الزمن. فالتباين بين القرية الساحلية الهادئة ذات الطابع التقليدي والمدينة الحديثة المتسارعة ينبع من تغيّر واضح في معالم البيئة المحيطة، وهذا التغير يعكس تمثلات الوعي البيئي بطريقة غير مباشرة ولكن مؤثرة .

الحيرة التي بدت على وجوه القادمِين عند دخولهم إلى الخور تشير إلى فقدان التواصل والانسجام مع البيئة المحيطة، وهو دلالة على انقطاع الروابط القديمة بين الإنسان ومحيطه الطبيعي. هذا الانقطاع نتيجته ظهور مباني وشوارع جديدة وميلاد نمط حياة حديث مختلف

[1] شعاع، خليفة : أحلام البحر القديمة ،ص 135 _ 136

عن تلك الحياة البسيطة التي كانت سائدة في القرية القديمة، ما يعكس حالة من التشويش البيئي والمكاني على الأفراد .

هدم البيوت القديمة وقرب البيت المذكور من الشاطئ وانعزاله عن الأحياء السكنية يدلان على التغيرات العمرانية التي غيرت من هوية المكان، إذ انتقل من مجتمع مترابط يقيم حياة متجانسة مع الطبيعة إلى فضاء متشرذم يُركز على التوسع العمراني السريع، مما يهدد ترابط الإنسان مع بيئته الطبيعية المحلية .

هذا السرد يعبر عن افتقاد التوازن البيئي، حيث تزايد التوسع العمراني والتحديث السريع على حساب الحفاظ على التراث الطبيعي والثقافي، وهو يعكس تحديًا للوعي البيئي الحقيقي. إذ يظهر أنّ الحفاظ على البيئة والهوية التاريخية لا يحظى بالأولوية، مما يخلق فجوة بين الماضي المستدام والمنظر العمراني الحديث، ويدعو إلى ضرورة تبني سياسات تخطيطية تحفظ ذلك التراث وتنمي استدامة البيئة .

باختصار، المقطع يُجسّد القطيعة بين الماضي والحاضر على مستوى البيئة الإنسانية والطبيعية، وينعكس ذلك كنموذج يعبر عن فقدان الاتصال القيمي مع الطبيعة والمجتمع، ويوضح أهمية الوعي البيئي الذي يرى في حماية البيئة والحفاظ على التراث أساسًا لبناء مجتمع متوازن ومستدام.

2.3.1. الميناء :

يُشكّل الميناء حلقةَ الوصل التّقنية بين الإنسان والبحر، حيثُ يتجلى الوعي البيئي من خلالِ الاعتماد على الصّناعات التقليدية التي تستغلُ الموارد الطّبيعية بشكلٍ متوازن ومستدام .يقول حمد « لازلت أذكر تلك الأوقات السعيدة التي تتخلل كل رحلة ، أذكر كيف كانت تغمرنا الفرحة عند انتهائنا من جمع الكميات المطلوبة من المحار ، واستعدادنا للعودة لأهالينا ، ونجاة البحارة من شدائد الرحلة واجتماع بعضهم حول أكوام المحار لفلقها وقيام

البعض الآخر بالطهي أو بأعمال أخرى مختلفة ، وأذكر الأوقات التي كنا نجلس على ظهر السفينة نحيط بالنهام (المغني) من كل جانب فيغني ونغني معه ونصفق مستمتعين بنسائم البحر العليلة ورائحة شواء السمك الطازج اللذيذ الذي كنا نستطيع أن تناول منه قدر ما نشاء..

«[1] من قول حمد يمكننا استنتاج أنّ تمثلات الميناء تتجلى كرمزٍ للأمان والراحة والالتقاء بعد معاناة المجهود البحري. فالميناء في وعي حمد ورفاقه ليس مجرد موقع جغرافي يُحطّ فيه البحر(يكتنفه)، بل هو المشهد الذي يحمل في طياته انتهاء الرحلة وتحقيق النجاح، حيث يعود البحارة وهم يحملون ثمار جهدهم من المحار .

هذا التمثيل يعكس إحساسًا عميقًا بالانتماء والتواصل، فالانتظار لدخول الميناء يحمل دفء اللقاء بالأهل والأحبة، كما يرمز إلى الحماية بعد المواجهات والشدائد التي واجهوها في عرض البحر. الميناء يقدم لهم فرصة الاستراحة، المشاركة الاجتماعية، والاحتفال بالإنجاز، كما يظهر في جلساتهم حول المحار، في الأحاديث والأنغام المشتركة، وفي الاستمتاع بالأطعمة الطازجة .

علاوةً على ذلك، تتجلى علاقة الميناء بالطمأنينة النفسية والهوية المشتركة، فهو المكان الذي يبعث الحياة في الروح بعد التعب، ويوحد البحارة في لحظة جماعية مليئة بالفرح والانسجام. هذه المشاعر تعكس أهمية الميناء كعنصر جوهري في حياة الإنسان المرتبطة بالبحر، إذ ليس فقط ممرًّا أو مكان ترسو فيه السفن، بل هو موطن للارتباط الاجتماعي والثقافي والروحي .

أضافت لؤلؤ قائلةً: «، لقد كنت دائمًا أحلم بركوب السفينة. فقد أخذني أبي عندما كنت طفلة وشقيقي إبراهيم رحمه الله لنتناول طعام الغذاء مع رفاقه على ظهر إحدى السفن فقدموا لنا سمكة مشوية هائلة الحجم مع الأرز، لقد كان يومًا جميلًا كنا نأكل ونراقب أمواج

[1] شعاع، خليفة : أحلام البحر القديمة ،ص 54.

البحر التي كانت تضرب السفينة من كل جانب وبدت المياه زرقاء صافية «[1] . في حديث لؤلؤ، يتجلى الميناء ليس فقط كمكانٍ مادي بل كموقع يحمل دلالات بيئية وثقافية ونفسية عميقة، وهو ما يجعلنا نراه رمزًا متكاملاً للوعي البيئي والانسجام الإنساني مع الطبيعة الساحلية. من منظور بحثي متعمق، يمكن تحليل هذا التمثيل من عدة جوانب :

أولًا، يرتبط الميناء في وعي لؤلؤ بتجربة حسية ووجدانية تتمثل في رؤية الأمواج التي تضرب السّفينة والمياه الزرقاء الصافية. هذه الصورة الحية تعكس احترامًا متجذرًا للجمال الطبيعي والأهمية البيئية للبحر، حيث يشكل الماء النظيف والصافي علامة على صحة البيئة البحرية، وهو ما يوحي بوعيٍ بيئيّ يربط الإنسان بجوهر الطبيعة ويحث على الحفاظ عليها .

ثانيًا، تناول الطعام على ظهر السفينة وسط البيئة البحرية يعكس علاقة متوازنة بين الإنسان والبحر، حيث يجسد الميناء مكان التقاء النشاط البشري مع الطبيعة دون إضرار بها. هذه اللحظة تشكل تجربة تكرّس مفهوم الاستدامة البيئية، إذ تحتفي بالتنوع البيولوجي البحري من خلال تقدير الموارد البحرية (السمك المشوي) في إطار يحترم البيئة البحرية ويثمنها .

ثالثًا، الميناء في هذا السياق يُنظر إليه كمركزٍ للترابط الاجتماعي والأسري، مما يضيف بُعدًا ثقافيًّا يربط بين الوعي البيئي والهُوية الجماعية. فالاحتفاء بالبحر والمكان يجعل من الميناء فضاء يعزز التواصل بين الأجيال ويوجِه نحو التعلم والممارسات البيئية المستدامة، حيث يسهم في بناء وعي جماعي يحترم البيئة البحرية ويعمل على حمايتها .

وعليه، الميناء يتجلى هنا كرمز شامل للوعي البيئي الثقافي، إنه المكان الذي يشكل نقطة التقاء حيوية بين الإنسان والطبيعة، حيث يُعزز الشعور بالانتماء البيئي المستند إلى الاحترام والمحافظة على البيئة الساحلية. مثل هذا الوعي يعدّ أساسًا ضروريًا لأي جهود تهدف

[1] شعاع، خليفة : أحلام البحر القديمة ،ص 54

إلى إدارة الموارد البحرية بشكل مستدام، وضمان استمرار التنوع البيئي والثراء الثقافي المرتبط بالمناطق الساحلية .

من منظورٍ آخر، في ذهن ابتسام، تحول الميناء أو الفضاء الساحلي من مكان العمل الشاق والتقاليد البحرية العريقة إلى مشروع استثماري يرتكز على السياحة والرفاهية .فعند عودتها للبلاد أغلقت «تطريز اقتراحاتها الجديدة التي استوحتها مما رأت في تركيا على خالتها نورة التي كانت تبتسم ويزداد شعورها باستحالة تنفيذ مشروعها البحري كلما رأته ينمو ويكبر. وتلك الاقتراحات كانت آخر اقتراحاتها شراء سفن متنوعة من السفن التي ربما اندثرت صناعتها في الوقت الحاضر كالسفينة المسماة بالزرافة المتميزة بسرعة حركتها أو الشبوعي المتميز بجماله أو بعضًا من السفن التي لها ميزات مختلفة كالجالبوت والبانوش والهوري واللنج ومن ثم تأجير هذه السفن للنزهة أو الصيد.»[1] .فهي تستدعي أسماء السفن التراثية مثل الجالبوت، والبانوش، والهوري، ليس لأغراض الغوص أو الصيد كما في الماضي، بل للنزهة والاستمتاع، ما يعكس بوضوح التحول الاجتماعي من نمط الإنتاج التقليدي إلى أسلوب حياة يعتمد على السياحة والراحة .ففي النص المذكور، نلاحظ أنّ ابتسام تعيش حالة من تداخل المشاعر بين الحنين للماضي وآفاق المستقبل الجديدة التي ترى في السياحة والاستثمار البحري سبيلًا للتطور والازدهار. تحول الميناء والفضاء الساحلي في ذهنها من مساحة تعب ومجهود في العمل التقليدي إلى مشروع استثماري قائم على الرفاهية والسياحة، يعكس تغيرًا عميقًا في نمط حياة المجتمع المحلي .

إبداعها في استحضار أسماء السفن التراثية مثل الجالبوت، والبانوش، والهوري، والزرافة والشبوعي، ليس محض استذكار للماضي فقط، بل يمثل استحضارًا للذاكرة البحرية والهوية الثقافية التي تربط الإنسان بأرضه وبحره. لكن استخدامها لهذه السفن في السياحة والنزهة،

[1] شعاع، خليفة : أحلام البحر القديمة ،ص 146

بدلًا من الغوص أو الصيد كما كان في السابق، يشير إلى انتقال اجتماعي واقتصادي من الانتاج التقليدي إلى الاقتصاد الترفيهي والخدمي .

حيثُ تغلق ابتسام باب عملها التقليدي وتفتح نافذة جديدة نحو اقتصاد يعتمد على الجاذبية السياحية، وهذا يعكس تغيّرًا في القيم والتطلعات، حيث تصبح المتعة والاستجمام من أهم الأولويات بدل الكد والتعب. كما أن قلقها المتزايد من استِحالة تنفيذ مشروعها البحري يشير إلى الصراع بين الذاكرة والتغيير، بين التراث الذي ترغب في الحفاظ عليه والعصر الجديد الذي يتطلب تطويرًا وتكيّفًا .

بهذا المعنى، يصور النص التحول الاجتماعي العميق الذي يعيشه المجتمع الساحلي، من التخلص من أسلوب حياة يعتمد على الجهد والعمل البدني إلى تبني أسلوب حياة اقتصاد يقوم على السياحة والرفاهية، مع محاولة الحفاظ على الروابط الثّقافية من خلال إعادة تقديم التراث البحري في شكلٍ جديد يناسب المرحلة المُعاصرة.

2-تمثلات انعدام الوعي البيئي:

وفي قولها «كانت شيخة... تجمل وعاء القمامة لتقطع كل المسافة من بيتها إلى الشاطئ كل يوم... لتقذف بالقمامة.»[1] في هذا المشهد، تعكس العبارة المذكورة؛ دلالة سلبية واضحة مرتبطة بالممارسة البيئية التي تحمل رمزية مزدوجة، تجمع بين العادات الاجتماعية وتأثيرها السلبي على البيئة الطبيعية، وبخاصة الشاطئ الذي يمثل في النص عنصرًا طيبًا وحيويًا .

أولًا، حركة نقل القمامة من المنزل إلى الشاطئ تعكس سلوكًا بيئيًا ضارًا يتسبب في تلويث البحر والشاطئ، ما يُضعف جمال الطبيعة ويهدد النظام البيئي الهش هناك. هذه الممارسة تشير إلى تجاهل للبيئة وعدم احترام للطبيعة التي يمكن أن تكون مصدرًا للحياة

[1] شعاع، خليفة : أحلام البحر القديمة ،ص21

والسكينة، وهو ما يخلق حالة من التلوث والفساد، يصبغ الصورة بمجموعة من الدلالات السلبية.

ثانيًا، من الناحية الاجتماعية والثقافية، يُمكن تفسير هذا السلوك على أنه كشف لحالة من الإهمال أو الاستسلام لواقع لا يُعنى بحماية البيئة بشكل فعّال. كما قد يرمز إلى فقْد الوعي بالمخاطر البيئية وتأثيرها على المجتمع، وهو ما ينعكس على صحة أفراد المجتمع وعلى جمالية المكان الذي يعتبره البعض ملجأ للراحة النفسية .

بالتالي، هذا المشهد يشير إلى ضرورة التحول نحو ممارسات بيئية مسؤولة تحترم الطبيعة وتحافظ على نظافة الشواطئ، وهو تناقض مع جمال البحر وصفاء مياهه المذكور في نصوص أخرى من الرواية، مما يضيف عمقًا إلى القراءة ويجعل القارئ يفكر في أهمية العلاقة بين الإنسان والطبيعة .

«إن الغرفة نظيفة، إن الغبار يعلو كل أرجائها، ثم كيف تدع سالم الذي يدخل منزلنا لأول مرة يجلس على حصير نصفه ممزق! هل يعقل هذا؟ فأجاب بغضب: إنه لم يتمزق إلا اليوم، لقد أحسنت المعز صنعاً، فهذا الحصير ذهبت معالمه منذ زمن وحان الوقت للتخلص منه.».[1] حيثُ، تعكس الغرفة علاقة متناقضة بين النظافة الظاهرة والغياب الحقيقي للنظافة والاهتمام، حيث الغبار الذي يغطي أرجاءها يشير إلى الإهمال الخفي الذي لا يلتفت إليه أصحاب المنزل، ما يرمز إلى حالة من الفوضى أو التردي داخل الحياة اليومية أو العلاقات بين أفراد الأسرة أو المجتمع. هذا التناقض يشير إلى أن المظهر الخارجي قد يخفي حقيقة أعمق وأصعب .

الحصير الممزق، الذي يجلس عليه سالم لأول مرة، يصبح رمزًا مهمًا يمثل حالة التقادم والترهل في القيم أو الظروف المعيشية، وربما انكسار الحال الاجتماعي أو النفسي. رفض

[1] شعاع، خليفة: أحلام البحر القديمة، ص 62 – 63

الجلوس عليه يعبر عن رفض ما يرمز إليه الحصير من تدهور، وفي المقابل، تصريح «حان الوقت للتخلص منه» يعكس رغبة في التغيير والتجديد، ولكن عبر وسيلة تحمل صبغة غضب أو تأنيب .

يبرز الحوار بين الشخصيتين مكان الغرفة كمساحة صراع أو تفاهم بين الأجيال أو وجهات النظر المختلفة، حيث يحمل المكان دلالة اجتماعية متعلقة بالتقاليد والكرامة والاحترام. فالاهتمام بالمكان هنا يعبر عن اهتمام بقيم أكثر تجريدًا كالاعتبار والاحترام، وليس مجرد ترتيب مادي فحسب .

بالتالي، يشكل المكان إطارًا رمزيًا قادرًا على التعبير عن الأوضاع النفسية والاجتماعية، ويعتبر مرآة تعكس تباينات الصراع الداخلي والتغيرات التي تمر بها الشخصيات، مما يزيد ثراء النص ويمنح القارئ فرصة غوص في أعماق المعاني غير الظاهرة .

خُلاصة:

يتمظهر في رواية «أحلام البحر القديمة» لشعاع خليفة، وعي بيئي عميق يتخلل النص بشكل يجعله أكثر من مجرد سرد قصصي، بل يتحول إلى تأمل بيئي وإنساني متداخل .حيثُ تستحضر الرواية البحر والطبيعة ككيان حي يمتلك قدسية خاصة، حيث يُصور البحر ليس فقط كمصدر للرزق أو خلفية للمشاهد، بل كرمز مرتبط بالذاكرة والهوية والتراث الثقافي. هذا التصور يعكس الارتباط العميق بين الإنسان وبيئته الطبيعية، ويُبرز أهمية الحفاظ على هذه البيئة من التدهور أو الإهمال .

كما تتناول الرواية كذلك الصراعات التي تنشأ نتيجة التدخلات البشرية التي تخل بالتوازن البيئي، ما يؤدي إلى نتائج سلبية على حياة الناس الذين يعتمدون على الطبيعة في معيشتهم. من خلال شخصياتها، تشير الرواية إلى أن الوعي البيئي لا يقتصر على معرفة المشكلات فقط، بل يتطلب موقفًا أخلاقيًا ومسؤولية جماعية للفهم والعمل من أجل حماية البيئة .

في النهاية، تقدم الرواية دعوة ضمنية إلى إعادة النظر في العلاقة بين الإنسان والطبيعة، وتشجيع القارئ على تقدير البعد البيئي كجزء لا ينفصل عن حياته وثقافته.

الخاتمة

خاتمة:

وفي ختام هذه الدراسة، يتّضح أنّ رواية أحلام البحر القديمة قد أبرزت الترابط العميق بين السرد والبيئة، حيث لم يقتصر حضور المكان على كونه خلفية للأحداث، بل تحوّل إلى عنصر فاعل في بناء المعنى وتوجيه مسار الشخصيات. فقد أسهم الفضاء البحري والساحلي في تشكيل التجربة السردية، وعكس تحوّلات نفسية واجتماعية داخل النص، كما كشف عن حضور وعي بيئي يتجلّى من خلال تفاعل الشخصيات مع محيطها.

وقد تناول الجانب النظري من هذه الدراسة حضور البيئة في القصة والرواية والمسرح العربي المعاصر، غير أنّ الجانب التطبيقي ركّز بصورة أكبر على الرواية، باعتبارها الجنس الأدبي الأكثر قدرة على استيعاب تفاصيل البيئة وتجليات الوعي البيئي، في حين جاء حضور المسرح محدودًا بحكم طبيعته الفنية القائمة على الايجاز والتركيز مقارنة بالسرد الروائي.

وقد توصّلت من خلال هذا البحث إلى مجموعة من النتائج التي تجيب عن التساؤلات والإشكالات المطروحة في مقدمة الدراسة، من أبرزها أنّ العلاقة بين السرد والبيئة تتجلّى من خلال حضور المكان بوصفه عنصرًا فاعلًا في تطوّر الأحداث وتشكّل الشخصيات، كما برزت البيئة بأبعادها الاجتماعية والثقافية والرمزية، حيث تجسّد الفضاء الساحلي والبحري باعتباره مرآة تعكس واقع الشخصيات وتحولاتها النفسية.

وتتجلى علاقة الإنسان بالبحر من خلال شخصية حمد التي تمثل الارتباط الوجداني العميق بالمجال البحري، وقد انتقل هذا الشغف إلى ابنته نورة التي طوّرت هذا الإرث من مجرد حب للبحر إلى فعل ثقافي، بإنشائها قاعة ومعرضًا يحوّلان المكان البحري من فضاء للصيد إلى فضاء تراثي وسياحي يعكس الوعي بأهمية المكان والذاكرة الجماعية.

كما تناولت الرواية قضية رمي الأوساخ في البحر بوصفها قضية بيئية محورية، إذ لم تكتفِ الكاتبة بتصوير هذه الظاهرة تصويرًا واقعيًا، بل وظّفتها للكشف عن التدهور الأخلاقي والإنساني في علاقة الإنسان ببيئته البحرية، وما يترتب عن ذلك من أضرار تمسّ المنظومة البيئية والهوية الثقافية المرتبطة بالبحر.

ولم يقتصر اهتمام الرواية على ذلك، بل امتدّ إلى قضية تعامل البحّار مع الكائنات البحرية، حيث أكّدت الكاتبة أنّ البحر عالم حيّ متكامل، وأن الإنسان المرتبط به ارتباطًا وجدانيًا وحضاريًا مطالب بالحفاظ على مكوناته والتعامل معها بوعي بيئي وأخلاقي بعيدًا عن منطق الاستغلال والإتلاف.

وفي الختام، يمكن القول إنّ رواية أحلام البحر القديمة قد قدّمت نموذجًا دالًا على حضور الوعي البيئي في السرد الروائي، من خلال إبراز العلاقة التفاعلية بين الإنسان والمكان، وما تحمله من أبعاد نفسية واجتماعية أسهمت في إثراء البناء السردي وتعميق دلالاته.

قائمة المصادر

والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

1. سورة العنكبوت، الآية 01 .
2. سورة العنكبوت، الآية 41 .
3. سورة سبأ، الآية 11 .

المصادر

4. لسان العرب، ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين، دار الحديث، القاهرة، 2003، د.ط، ج4، مادة السرد .
5. أحلام البحر القديمة، شعاع خليفة، دار العلوم للطباعة والنشر والتوزيع، طرابلس، ليبيا، د.ط، 1993 .

المراجع

6. أنا الياسمينة البيضاء، دلال خليفة، قصص قصيرة، دار الكتب القطرية، قطر، 2013 .
7. بشاير فارش الشمري، عبد الحق بلعابد، "تمثلات البيئة في القصة القطرية"، مجلة الذاكرة، قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم، Qatar University، المجلد 112، العدد 02، 2024 .
8. بودور محمد، "مفهوم البيئة وأهم أنواعها في التشريع الجزائري"، مجلة السياسة العالمية، Université M'Hamed Bougara de Boumerdès، الجزائر، المجلد 6، العدد 2، 2022 .
9. جامعة هامبورغ، "النقد البيئي والسرد"، الدليل الحي للسرد، د.ت .
10. جمال بوطيب، "العنوان في الرواية المغربية (حداثة النص وحداثة محيطه)"، ضمن كتاب *الرواية المغربية وأسئلة الحداثة*، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ط1، 1996 .

11. جميل الحمداوي، حسن أعراب، *النقد البيئي أو الإيكولوجي في الأدب والفن*، دار الريف، الناطور، تطوان، المغرب، ط1، 2020 .
12. جون ساذرلاند، *50فكرة يجب أن تعرفها عن الأدب*، ترجمة: محمد طارق داود، المكتبة المصرية، مصر، ط1، 2014 .
13. حميد لحميداني، *بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي*، المركز الثقافي العربي، مصر، ط1 .
14. خالد محمد محمد متولي، *النخلة في التراث الشعبي*، بحوث ودراسات في الثقافة الشعبية، القاهرة، مصر، د.ط، 2016 .
15. خثير عيسى، "النقد البيئي وأبعاده الثقافية: رواية مملكة الزيوان للروائي الصديق حاج أحمد أنموذجًا"، مجلة جسور المعرفة، University of Ain Temouchent، الجزائر، المجلد 8، العدد 3، 2022 .
16. د. جاسم حسن الغيث، "تجليات رموز تراث الخليج في المسرح القطري المعاصر (دراسة في مسرحية مساء الموت)"، مجلة أنساق، كلية الآداب والعلوم، Qatar University، المجلد 2، العدد 2، يونيو 2018 .
17. رامي أبو شهاب، *بنية الحكاية الشعبية القطرية: النموذج والاستقبال*، كتاب المأثورات الشعبية، وزارة الثقافة والفنون والتراث، قطر، ط1، 2015 .
18. الزيوان، الصديق حاج أحمد، دار فضاءات، عمان، الأردن، ط1، 2015 .
19. صبري حافظ، *القصة القصيرة في قطر: ببليوغرافيا شاملة ودليل وصفي تحليلي*، وزارة الثقافة والرياضة، قطر، 2016 .
20. عبد الحق بلعابد، "الرواية البيئية في السرد القطري (مقاربة في النقد البيئي لرواية دنيانا مهرجان... الأيام والليالي لدلال خليفة)"، مجلة أنساق، المجلد 07، العدد 01، 2023 .
21. عبد الله إبراهيم، *موسوعة السرد العربي*، قنديل للطباعة والنشر، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2016، ج1 .

22. عبد الله الحمادي الإدريسي، *الفوات من تاريخ التوات وصحاري الجهات*، دار كوكب العلوم، الجزائر، ط1، 1440هـ/2019م .
23. عبد الملك أشهبون، *البداية والنهاية في الرواية*، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2013 .
24. عزب خالد، "القصر مدينة في طي النسيان"، مجلة العربي، مجلة شهرية ثقافية تصدر عن وزارة الإعلام بدولة الكويت، العدد 643، 1433هـ/2012م .
25. فاطمة جاري عايض القرني، "البيئة الكونية في الرواية السعودية: نماذج مختارة، دراسة في ضوء النقد البيئي"، مجلة الدراسات العربية، المجلد 46، العدد 4، د.ت .
26. ماهر فهمي، "ملامح القصة القصيرة في الأدب القطري"، حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، Qatar University، المجلد 06، العدد 06، 1983.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

شكر وعرفان	
الإهداء	
مقدمة	أ
مدخل: السرد والبيئة	
تمهيد	4
السرد بين اللغة والاصطلاح	4
البيئة بين اللغة والاصطلاح	6
الفصل الأول: البيئة في السرديات العربية المعاصرة	
1. البيئة في القصة العربية المعاصرة	9
1.1. توظيف قضايا البيئة في القصة القصيرة القطرية	9
2. البيئة في الرواية العربية المعاصرة	11
1.2. رواية مملكة الزيوان أنموذجا	11
2.2. تجليات البيئة في الرواية	15
3.2. تمثلات البيئة في المكونات السردية للقصة القطرية	15
3. البيئة في المسرح العربي المعاصر	19
3.1. المسرح القطري	19
الفصل الثاني: تمثلات الوعي البيئي في رواية أحلام البحر القديمة لشعاع خليفة	
تمهيد	22
1. تمثُّلات البيئة الطبيعية بين الوجود والوعي	23
1.1. الرياح، النفط، الشواطئ	23
2.1. البحر	28
1.3. المكان الساحلي القرية/الميناء	36
1.3.1 القرية	36
2.3.1. الميناء	42
2-تمثلات انعدام الوعي البيئي	46
خُلاصة	48
خاتمة	51

قائمة المصادر والمراجع	
الملاحق	
فهرس المحتويات	
الملخص	

الملخص

يتناول هذا البحث الموسوم بـ«بين سرد البيئة وبيئة السرد» دراسةً تحليليةً لتجليات الوعي البيئي في رواية «أحلام البحر القديمة» لشعاع خليفة، وقد انطلق من إشكالية محورية تتمحور حول الكيفية التي يحضر بها البعد البيئي في السرديات العربية المعاصرة، معتمداً على المنهج التحليلي بوصفه الأنسب للتعامل مع النصوص السردية وتفكيك بنياتها الدلالية. وقد توزعت الدراسة على مدخل نظري وفصلين تطبيقيين، حيث عرض المدخل مفهومَي السرد والبيئة وعلاقتهما ضمن ما بات يُعرف بالإيكو نقد أو النقد البيئي، فيما رصد الفصل الأول حضور البيئة في القصة القصيرة القطرية والرواية الجزائرية والمسرح العربي المعاصر، وإن ظل هذا الحضور في المسرح عابراً وضمنياً مقارنةً بما بلغه في الغرب من نضج نظري. أما الفصل الثاني فقد تعمّق في رواية شعاع خليفة من خلال أربعة محاور متداخلة هي البيئة الطبيعية بعناصرها المتعددة من رياح ونفط وشواطئ، والبحر كفضاء مركزي تتشابك فيه دلالات الصراع والرزق والذاكرة الجماعية، والمكان الساحلي ممثلاً في القرية والميناء اللذين يشكلان فضاءً للهوية والتواصل الاجتماعي، ورمزية البحر في تشكيل المعنى السردي من خلال شخصيات الرواية ولا سيما حمد وابتسام. وقد خلص البحث إلى أن الرواية تجعل من البيئة محوراً دلالياً فاعلاً لا مجرد ديكور سردي، وأنها تطرح تساؤلات جوهرية حول الاستدامة والهوية والذاكرة الجماعية.

الكلمات المفتاحية :الوعي البيئي، السرد البيئي، الإيكو نقد، أحلام البحر القديمة، شعاع خليفة، الفضاء الساحلي، رمزية البحر، الهوية الثقافية.

Abstract

This research examines environmental consciousness in Shu'a' Khalifa's novel *Dreams of the Ancient Sea*, adopting a analytical approach to explore how the natural world functions within contemporary Arabic narrative. The study moves through a theoretical introduction addressing ecocriticism and its core concepts, a first chapter surveying environmental themes across Qatari short fiction, Algerian novels, and Arabic theatre, and a second chapter offering a close reading of Khalifa's novel through four interlocking dimensions: the natural environment, the sea as a central symbolic space, the coastal setting as a site of identity and social memory, and the symbolic role of place in shaping narrative meaning. The research concludes that the novel elevates the environment from mere backdrop to an active semantic axis, raising fundamental questions about sustainability, cultural identity, and collective memory within contemporary Arabic fiction.

Keywords: environmental consciousness, eco-narrative, eco-criticism, *Dreams of the Ancient Sea*, coastal space, sea symbolism, cultural identity.

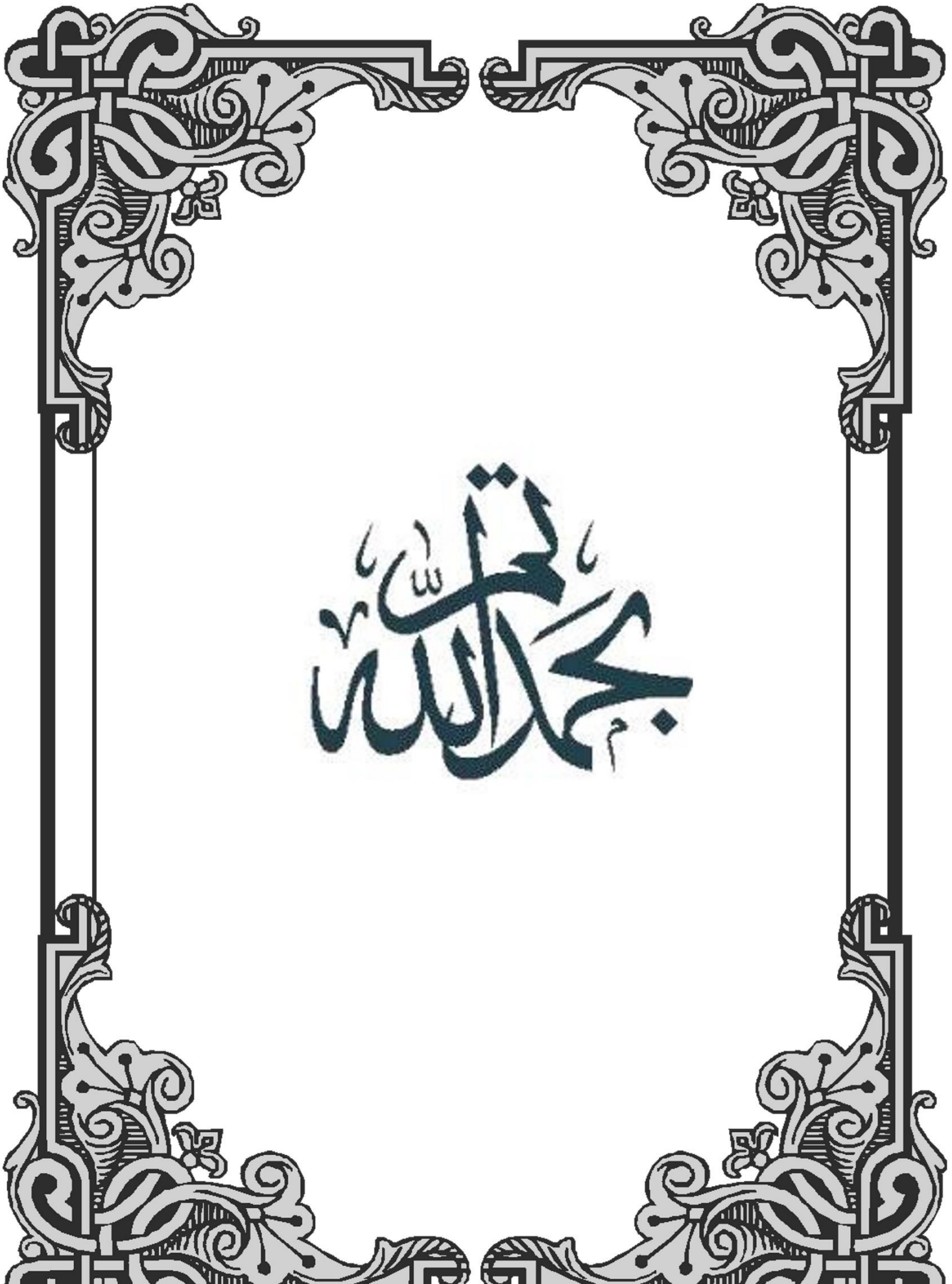
تم بحمد الله